الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث

العلمي

المركز الجامعي

أكلي محند اولحاج

-البويرة-

قسم اللغة والأدب العربي

التجديد عند خليل مطران
" قصيدة المساء " أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتين

- دراجي خديجة
- ديريجي شهرزاد

إشراف الأستاذة:

لطرش صليحة

السنة الجامعية: 2012/2011

كلمة شكر

بسم الله الرحمان الرحيم

"قل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين"

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب إلا بعفوك

الحمد لله الذي هدانا إلى نور العلم وميزنا بالعقل

الذي يسر طريقنا، الحمد لله الذي أعطانا من

موجبات رحمته الإرادة والعزيمة على إتمام

عملنا، نحمدك يارب حمدا يليق بمقامك وجلالك

العظيم

نتقدم بتشكراتنا الخالصة بعد الشكر لله، للتي لم تبخل علينا

بنصائحها، ومعلوماتها، وتوجيهتها، وقبولها الإشراف

علينا "لطرش صليحة" أنار الله دربها وأوصلها إلى أعلى

الدرجات.

ونخص بجزيل الشكروالعرفان كل من أشعل شمعة في

دروب علمنا

خديجة وشهرزاد

الإهـداء

الحمد و الشكر لله رب العالمين لتيسيره دربي طيلة مشواري الدراسي.

أهدي ثمرة هذا العمل إلى اللذين قال فيهما عزوجل

"ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا"

والدي العزيزين اللذان منحاني نور الحياة، وأضاءا لي دربي في الدراسة.

إلى المنبع الذي غمرني بالعطف، والحنان وبسمة أملي في الحياة

أمي الغالية

التي حملتني وهنا على وهن،ومنحتني حبها، وضمتني لصدرها

إلى الذي لم يبخل علي بشيء في هذه الدنيا، ولم يكبل حريتي

وتركني أنهل في درب العلم ما شئت

أبي الغالي

إلى إخوتي الأعزاء، أخي الأكبر " المحفوظ" الذي ساندني في السراء

والضراء، وأختي " مسعودة""وزوجها "محمد"، وإبنتها المدللة"منال".

إلى حبيب قلبي، وملاك الدنيا واللآخرة إبن أختي "يوسف".

رحمه الله –وأسكنه فسيح جنانه–

وأختي " غنية " وزوجها " فيصل"، ووهيبة،والعيد ، وأخي الصغير

"عمري "، وحنان ، وحبيبة، وكل أهلي وأقربائي خاصة " جدتّي "

أطال الله في عمرها ولا أنسى خطيبة أخي " ربيعة ".

وإلى من شاركتني في إنجاز هذه المذكرة صديقتي " شهرزاد ".

وإلى صديقاتي اللواتي أمضيت معهم أجمل لحظات عمري

" نعيمة، زينب، صباح، نادية، أمال، سلوى، سارة ، سعيدة"

وإلى زميلاتي في المرحلة الجامعية " بركاهم، صليحة، جميلة

زهية، فضيلة ".

وإلى كل من أحبه ويحبني، وإلى كل من شاركني آمالي وآلامي.

خديجة

الإهـــــــداء

إلى الذي رباني ، فأحسن تربيتي، إلى الذي تحمل هموم صغري وكافح لأجلي

أطال الله في عمره وأدامه الله تاجا فوق رأسي

أبي العزيز

إلى التي علمتني حب الدنيا، إلى التي جعلت من حنانها مأوى يضمني، ومنحتني

همسات سعادتي أطال الله في عمرها

أمي الغالية

إلى من نور دربي بالوفاء والإخلاص ، وكان لي رفيقا وسندا إلى "زوجي."

وإلى كل عائلته.

إلى توأم روحي ورفيقتي وصديقتي وصاحبتي أختي الوحيدة " حنان "

إلى الذين بالود غمروني وبالإخاء والعطف دعموني إخوتي "محمد لمين""صلاح الدين".

إلى نبض وعصفور العائلة ونور عيني وقلبي الكتكوت الصغير"مؤمن".

إلى جدتاي "كلتوم"و"فاطمة" وجدي "بشار" أطال الله في أعمارهم

وإلى جدي "لخضر " رحمه الله.

إلى أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي وخاصة عمتي "أمال".

إلى من شاركني مسيرة حياتي وكانا لي رفيقا في دراستي أخواتي وأحبائي وصديقتايا

"حنان " و"سمية".

إلى صديقتي التي شاركتني ثمرة هذا الجهد " خديجة ".

شهرزاد

مقــدمة

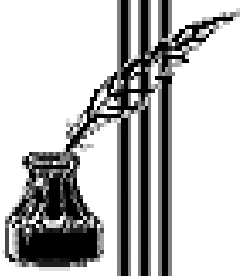

مقدمـة :

لقد شهد العصر الحديث عدة تطورات في مختلف المجالات، وكان تطور الشعر العربي الحديث تطورا عضويا، ينبع من داخل الفن نفسه، ويسير في خط لا تقرره التطورات الإجتماعية والثقافية وحدها، بل تقرره إلى حد بعيد أيضا. الحاجة الفنية التي يمليها الفن نفسه ولم يكن نموه مجرد قصة ممتعة للمهتمين بالشعر العربي الحديث، بل بوصفه تعبيرا عن تغيرات كبيرة في شتى وجوه حياته، بل بوصفه كذالك تصويرا شاملا مركزا لتطور في كبير حدث للشعر، خلال فترة من الزمن قصيرة نسبيا، وإستطاع الشعر العربي الحديث أن يواصل تطوره، خلال العقود المتتابعة منذ نهضة في القرن التاسع عشر، على الرغم من العقبات الكثيرة التي وضعتها قوى التقليد في طريقه .

ومما لاشك فيه أن وسائل الحضارة الحديثة، وقد ساهمت إلى حد كبير في إحياء أدبنا العربي الحديث، من طباعة، وترجمة، ومدارس أجنبية، لأن الإنفتاح الواسع على الأدب الغربي، دفع بمعظم أدبائنا ومثقفينا إلى نقل القواعد والأسس، والمبادىء التي حملها علينا الأدب الغربي. ويعد "خليل مطران" من الشعراء البارزين الذين أحدثوا تجديد في الشعر العربي الحديث من ناحية المضمون والإيقاع، والصورة الشعرية، وأنه يمثل حلقة وصل مهمة بين المدرسة الكلاسكية المحدثة، والشعر الأكثر حداثة الرومانسية، فهو يشمل مكانة كبيرة في العصر الحديث، وهو رائد التجديد في عصره، بحيث تحرر من جمود التقاليد الشعرية القديمة، وأنه أدخل النزعة القصصية في الشعر العربي الحديث، وهناك من يعترف له بتأسيس النزعة الرومانسية في العصر الحديث، وقد كان له دور فعال في الشعر وذلك بتأثيره في الأجيال التي أتت من بعده، ولذلك وجدنا من خير والصواب أن نتطرق في موضعنا هذا تحت عنوان " مظاهر التجديد عند خليل مطران " وأخذنا قصيدة " المساء " كنموذج.

ونبرز سبب اختيارنا لهذا الموضوع أنه ببساطة موضوع قليل الدراسة، ونأمل معرفة الكثير عنه، فمنذ دراستنا لمظاهر التجديد عند خليل مطران، فبحثنا بكل جد ومثابرة لنعرف كل صغيرة وكبيرة عنها.

وقمنا بعملنا هذا من انطلاقا من إشكالية مفادها ما هو التجديد الذي أتى به خليل مطران في الشعر العربي الحديث ولكي نجيب عن هذه الإشكالية ، أفردنا موضوعنا في ثلاثة فصول الفصل الأول يتكون من ثلاثة مباحث، المبحث الأول تطرقنا فيه، إلى لمحة عن حياته والمتمثلة في هويته وثقافته، والمبحث الثاني نجد فيه ملامح الرومانسية في شعره، أما المبحث الأخير فأخذنا فيه أهم أغراضه الشعرية.

وفي الفصل الثاني تحدثنا عن التجديد بمفهوميه اللغوي والاصطلاحي، والدوافع التي أدت "بمطران" إلى التجديد، وفي الأخير بينا مظاهر التجديد التي طرأت في أشعاره، من ناحيتين

المضمون الإيقاع، أما الفصل الثالث فهو دراسة مستويات التجديد ، من خلال قصيدة " المساء " كنموذج ، وتمثل في ثلاثة مباحث الأول التجديد على مستوى المضمون ،أما الثاني على مستوى الصورة الشعرية ، والأخير على مستوى الإيقاع.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع ، أهمها ديوان الخليل"ج1"وكذلك باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث لجحا ميشال، بالإضافة إلى الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث لسلمى الخضراء الجيوسي، أما البقية فسنذكرها في الأخير في قائمة المصادر والمراجع، ونتمنى أننا قد وفقنا في بحثنا هذا.

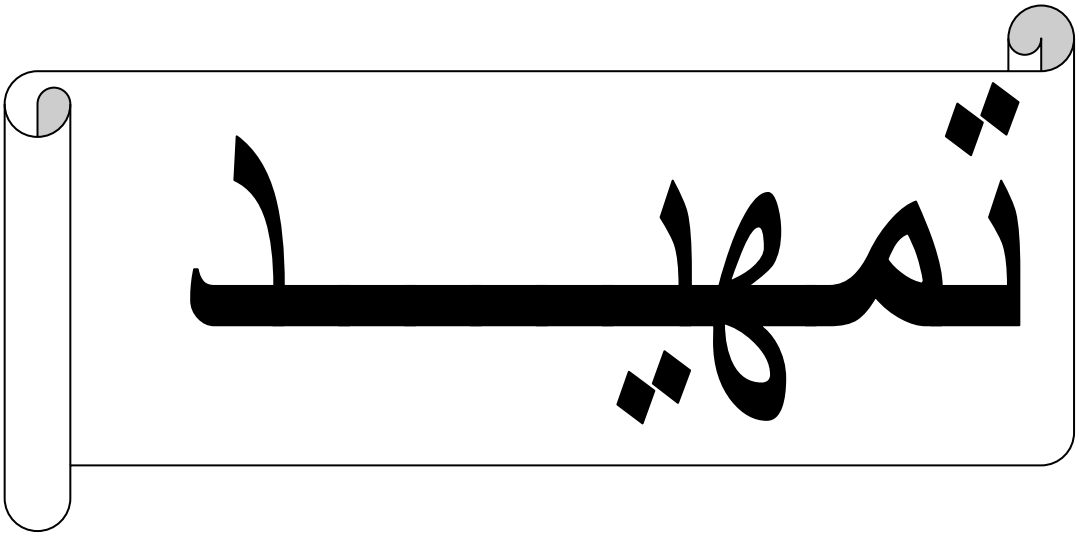

التجديد في العصر الحديث

تمهيـد :

كان السعي حثيثا في السنوات الأولى من القرن العشرين، إلى اكتشاف الأشكال وموضوعات الجديدة في الشعر العربي الحديث، وعملوا على كسر الجهود التي اتسم بها الشعر العربي لأجيال عديدة.وبدلك تمردوا على القصيدة التقليدية وعرض الشعر الكلاسيكي، وكان على رأس هؤلاء مطران ومدرسته.[1]

فقد كان الصراع بين القديم والجديد والانتقال من القديم إلى الجديد، حتمية اجتماعية تؤكدها الدراسات الاستقصائية لتاريخ المجتمعات البشرية.[2]

فعندما أتيح للعالم العربي عوامل اليقظة والثورة تحققت له مسببات هدا الانتقال، فكانت مسألة الإطلاع على الثقافة الأجنبية من أبرز المؤهلات التي قادت إلى حركات التجديد في الشعر العربي الحديث.والتأثر بها كان من خلال المجلات، التي يشرف عليها المطلعون على الحضارة الغربية من خلال المدارس الأجنبية.[3]

ولعل أهم الروافد في الإطلاع على الثقافة الأجنبية، كانت نتيجتها مجموعة من العوامل أهمها

1- الطباعـة

برجع الفضل إلى "نابليون بونابرت" في جلب هدا الفن الجيد الذي جلبه إلى العرب والمصرين .من روما.التي كانت قد عرفت الطباعة بالأحرف العربية مند 1514، وكانت هده المطبعة بدائية خصصت في بادئ الأمر لطباعة الكتب الدينية المقدسة فقط.وبعد دلك أصبحت هده المطبعة مخصصة لطباعة البيانات والصحف، وكانت أول صحيفة أصدرها الفرنسيون في مصر كانت باسم "تنبيه" التي صدر عددها الأول عام 1800، وبعد رحيل الفرنسيين عام1801 توقفت الطبعة عن العمل[4] وبعد دلك بدأ محمد علي والي مصر، أن ينشئ مطبعة لتلبية الحاجيات الحكومية، وإرضاء رغباته في نشر العلم والمعرفة، فاشترى مخلفات المطبعة وزاد عليها، واستقدم لها بعض اللبنانيون وعرفت باسم المطبعة "الأميرية" أو مطبعة "بولاق" نسبة إلى الحي

1- ينظر: س. موريه، الشعر العربي الحديث، 1800-1970، تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي دار الغربي اللطباعة والنشر والتوزيع، 2003، ص 85.

2- ينظر: سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث ومقوماته الفنية وطاقتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2005، ص 41.

3- ينظر: محمد حسين الأعرجي، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار عصمي، د ط د ت، ص 32.

4- ينظر: خليل إبراهيم، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط 1، 2003 ص 30.

الذي أنشأت فيه، ولقد قامت هده المطبعة بإخراج أمهات الكتب مثل الأغاني، والعقد الفريد، وخزانة الأدب، البيان والتبيين، وغيرها من الكتب، وكذلك الجيل الجديد على الاتصال بالأدب القديم. [1]

– وبذلك لعبت الطباعة دورا بارزا في إحياء الآداب القديمة، من الشعر العربي ونشر الكتب الأدبية، والدينية وتجمع الأخبار والنوادر واللغة والنحو، مقامات الزهد والوعظ ومجالس أهل الرأي.

2– الصحافة

تعتبر الصحافة من أبرز عوامل النهضة تأثيرا في الوطن العربي، وكان معظم كتابها ورؤسائها ومحرريها من خيرة المثقفين، ومن أئمة العلم والأدب، وكانت للصحافة في مصر ولبنان وسوريا دورا بارزا في إبراز نوابغ الكتاب و الأدباء، الذين حملوا لواء النهضة الأدبية والقومية، ونجد باحثة البادية "ملك حفني ناصف"، و"وردة اليازجي"، و"عائشة عصمت" "تيمور"وكذلك الشيخ"محمد عبده" رئيس التحرير جريدة الوقائع المصرية، التي كانت مقصورة على التقارير الحكومية والأنباء الرسمية، و"عبد الله نديم" صاحب جريدة "طائفة والأستاذ" ومصطفى كامل رائد "اليقظة الوطنية".ومع بروز هؤلاء ظهرت طائفة من الشعراء الذين أعادوا للشعر العربي مجده الغابر أمثال سامي البارودي، احمد شوقي، وحافظ إبراهيم. [2]

3– الترجمـة:

مع ازدياد النفوذ الأجنبي في البلاد العربية، وسيطرته على مؤسساتها، نشطت حركت الترجمة والتعريب، وراج سوقها بعد أن كانت في عهد محمد علي مقصورة على المترجمين في المدارس أو في الجرائد.ولقد كان لها تأثير واضح في نهضة الأدب العربي، وهذا التأثير كان في الشعر أكثر من النثر.ومن هنا شاعت الفنون الأدبية الجديدة كالمقالة والقصة، ففي سنة1828م ترجم "رفاعة الطهطاوي" رواية "فينلون" وفي عام 1888م ترجم "نجيب غرغور" رواية "صاحب المعمل الحديد" وكذلك ترجمت رواية "الكسندر" و"الفرسان الثلاثة "وطبعت في القاهرة سنة 1888م وترجم "المنفلوطي" سنة 1915م رواية الضحية أو "مذكرات مرغريت". [3]

والترجمة شملت كذلك الشعر، فقد رأينا الطهطاوي في كتابه تخليص الإبريز يحاول ذلك "والكثير من الأشعار الفرنسية لابأس بها ، ولنذكر لك شيئا من بعض أشعارهم مترجمة من كلام بعضهم للعبد الفقير."

وإِذَا القُلُوبُ تَعَلَقَتْ *** رَأَتْ الجَمِيعَ جَمِيلاً

كَسَفِيَنةَ تَسْعَى إِلَى *** شَعْب يَكُونُ مُهَولاً

1– خليل إبراهيم، مدخل لدراسة الشعر العربي، ص 30–32.

2 – ينظر: خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، دار النهضة العربية، ط1، بيروت 2006، ص 21–22.

3 – ينظر: إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 28–29.

لَهْفِي عَلَى زَمَن الّهَنَا *** إنْ صَّحَ كَانَ بَخِيلاً.

ومن تأثير الترجمة على النثر العربي خاصة والأدب عامة، التخفيف من أساليب السجع والزخرف البديعي، واكتساب تعبيرات جديدة لم تكن متداولة في اللغة العربية، وكذلك اقتراض مصطلحات أدخلت إلى العربية، عن طريق التعريب والتحرير، ونشأت لدى عدد من الرواد النهضة الأدبية، فكرة المقابلة بين العربية وغيرها من اللغات الأوربية، من حيث القواعد وأساليب التعبير.فرفاعة الطهطاوي يواجه صعوبة في نقل بعض المصطلحات الحديثة من العربية إلى الفرنسية.[1]

4- البعثات العلمية

نشط فن الرحلة في البلاد العربية، واتخذ له وجهة أوربية، عرف الرحالة أرمتهم بخصائص الحضارة الأوربية، ومع مطلع القرن التاسع عشر مع سياسة "محمد علي" أدرك هذا الأخير أهمية العلم، فشرع في إرسال البعثات العلمية، والتعليمية، ومن أبرز المبعوثين "رفاعة الطهطاوي"، "جمال الدين أفغاني"، "أحمد فارس"، ومن الأدباء الذين ارتحلوا وأفادوا من رحلتهم "أديب إسحاق" و"فرنسيس مراش" و"جبرائيل الحلي".[2]

ساهمت البعثات بكل مستوياتها، وبمختلف أشكالها بنقل ما ألفه الغرب إلى العربية لهذا نمت البعثات نحو أوربا.فكان تأثر بالأدب الغربي نتيجة حتمية، لشيوع الترجمة ، وعززت الاتصال بين الغرب والشرق، وبالرغم مما ميز الأدب الغربي في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، من معاناته من جراء التعلق بالماضي، وانعدام القدرة على التحرر من هيمنة المعايير التقليدية على الأوزان، وفضل الأدباء العرب هم الذين يتأثرون بالأدب الغربي ولا يؤثرون.[3]

وفي وسط هذا الجو النهضوي بدأت تتسع روح جديدة، كان لها أثر قوي في تفجير اليقظة العربية والوعظ القومي، مما .زاد اهتمام العالم العربي بألوان الفكر والثقافة، و1جلى ذلك من خلال العديد من رواد النهضة الأدبية، نشهد العصر جيلا من أدباء عصر النهضة الجديدة في الجمال النقدي والشعري، وكذلك من جراء هذه العوامل السابقة أثمرت خصائص نقدية وشعرية جديدة، كان لها أثر واضح.[4]

1- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 36-38.

2- ينظر: سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، مركز الوحدة العربية ط1، بيروت، 2001، ص 33-34.

3- خليل إبراهيم، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 46-47.

4- ينظر: محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم (الشعر، المصرح، القصة)، دار المعارف الجامعية الإسكندرية، 2000، ص 50.

وقد أتاح هذا الاحتكاك بالثقافة الغربية للأدباء، أن يقابلوا بين المجتمع العربي المتخلف والمجتمع الغربي المتحضر، وهكذا وجد الشعراء أنفسهم بإزاء مسؤولية النهوض بالأدب العربي عامة والشعر الغربي خاصة إلى مستوى الثقافة الغربية.فنجد من أبرز الشعراء الذين دعوا إلى التجديد خليل مطران.[1]

الذي يقول في مجلة الهلال أشهرية بعنوان"أريد للعشر العربي" "أردت التجديد في الشعر منذ نعومة أظافري ، ولقيت دونه ما لقيت من العنت ومناوأة، وليس هنا محل وصف للآلام التي عانيتها ولا للبواعث التي انبعثت منها نوازع الذين حاولوا قطع السبيل علي بضع سنين...".[2]

1- ينظر محمد حسين الأعرجي، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، ص 32.

2- واصف أبو الشباب، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، د ط، بيروت، 1988 ص 67.

الفصل الأول

لمحة عن " خليل مطران "

1. هويته وثقافته.
2. ملامح الرومانسية في شعره.
3. أهم أغراضه الشعرية.

I – هـويته وثقافته:

1- هويتـه:

ولد خليل مطران في مدينة بعلبك في شهر تموز عام 1872م، تلقى مبادئ الكتابة والقراءة على يد والده، الذي كان يحفظ ويروي أشعار عربية جاهلية وغير جاهلية[1]. وتعلم في زحلة المبادئ الأولية ومنها التحق بالمدرسة البطريكية في بيروت للروم الكاثوليك، تتلمذ على يد إبراهيم اليازجي الذي أثر فيه كما درس الفرنسية على أستاذ من إقليم تور الفرنسي. [2]

وكان في طفولته كثير الحركة ذا مزاج عصبي أصيل، وطبيعة ذات حيوية زائدة، وشاعر ومنتقدة وإحساسات زاخرة.

ويعود نسبه إلى أسرة عربية مسيحية عريقة، الأصل يرتقي نسبها إلى الغسانسة، كانت تعرف ببطن "أولاد نسيم"، يعود نسب والدته إلى آل الصباغ، وكان والدها من وجهاء البلدة. [3]

وقد أعرب مطران عن أصله وصرّح بنسبه الغساني في قوله :

أَلاَ يَا بَنِي غَسَانَ مِنْ وَلَد يَعْرُب *** وَأَجْدَادُكُم أَجْدَادُ العُظَمَاء [4]

توفي مطران في 30 حزيران من عام1949م، وقال له حسين يوم وفاته لقد عرفت مطرانا معجبا بشعره، مؤثرا على شعر العاصرين جميعا في الأقطار العربية كلها، لم استثن منهم واحدا، ولن استثني منهم، وكنت أسمع بشعره وشعر حافظ وشوقي، فأوثر شعر مطران في وجه حافظ وشوقي، وكنت أزعم لهما جميعا أن مطران في المحدثين كأبي تمام في العصر القديم، وإنهما وغيرهما من الشعراء العراق والشام يعيشون حول أبي تمام...[5]

2- ثقافتـه:

إن ثقافة مطران واسعة وكثيرة يغلب عليها عنصر التأمل والتفكير والنظر، لذلك رزق مطران موهبة شعرية فطرية نمتها تجارب شخصية عنيفة، واحتكاك عميق مع واقع الحياة التي عاشها خلال فترة عصيبة من التاريخ العربي، وأغناها اطلاع واسع على كثير من ذخائر الأدب، بما في ذلك الأدب الأوربي لاسيما الأدب الفرنسي، ومن هنا تلاقت روافد أو تيارات عدة وعملت على

1- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 79.

2- . ينظر: محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، بنياته و إبدالاته الرومنسية العربية ، ج 2 ، القاهرة ، ط 2 2001 ، ص 179 .

3- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، ط1، بيروت 1981، ص66.

4- ديوان خليل مطران، ج 1، دار مارون عبود، د ط، بيروت، 1975، ص 111.

5- حنى الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، ط 2 ، 1987، ص 1032.

إرهاق الحاسة السادسة عنده، إلى جانب البيئة الأدبية والاجتماعية والسياسية التي ترعرع فيها ونما، ومن هذه التيارات: [1]

1- تيار الطبيعة

كان للطبيعة تأثير بالغ في نفسية مطران وفي إحساساته، فتلك الجبال المغطاة بالثلوج والأنهار والجداول، فكل هذه المناظر الطبيعية أثرت بشدة في شاعرنا، حق أصبحت الطبيعة كائن حي يتكلم ويعشق، ويحب ويتألم، والقارئ لشعر مطران يظهر له اهتمام مطران بمظاهر الطبيعة الرائعة، لقد قام بوصف البلدان التي زارها، كل من لبنان وسوريا وفلسطين عام 1924م، وهذا ما نجده في ديوانه المليء بالقصائد التي وصف فيها البلدان التي زارها أودعي إليها بمناسبات مختلفة، ومن هذا نجد قصيدة "التأليف بين القلوب"، فشعر مطران هو وليد هذه الطبيعة.[2]

2- تيار العربي

من الطبيعي أن يتأثر خليل مطران بالأدب العربي، فلقد انتقل **إلى** بيروت وعاش في بيئة أدبية زاخرة، وأصبح واحدا من أئمة اللغة والأدب، فاتسعت مواهبه، وأفقه الشعري اطلاعه ومطالعاته بوجود أساتذة من أمثال خليل اليازجي، وإبراهيم اليازجي.

سئل مطران على الشخص الذي كان له أثر كبير من حياته فكان جوابه "تأثرت بالشيخ خليل اليازجي والشيخ إبراهيم اليازجي في نشأتي الأولى، وكلاهما كان عالما شاعرا كاتبا وطنيا عربيا، ولكن تأثري بالشيخ إبراهيم كان أكبر وأعمق. [3]

- قال اليازجي في أبياته المشهورة:

تَنَبَهُوا واسْتَفِيقُوا أَيُهَا العَـرَبْ *** فَقَد مَلَّمَى الخَطْبُ حَتَى غَاصَتْ الرُكَبُ

أَلَسْتُمْ مِنْ سَطْوًا فِي الأَرْضِ واقْتَحِمُوا *** شرقاً وغرباً وغَزُوا أَيْنَمَا ذَهَبُوا ؟

- وأثر عن مطران قوله:

بَيْنَ العَرَبِ فِيمَ الصَبْرُ والحَالُ مَا تَرَى *** ويَأْبَي عَلَيْنَا الخَسْـفُ تَارِيخِيًا قُدُمًا

وحِنَامَ نَطْوِي العُمْرَ واللَّيْلُ دَامِسُ *** وَنَحْتَمِلُ الإِجْحَـافَ والظُمُ والظُلْمَا

- وفي هذه الأبيات يحاول مطران أن يسأل أستاذه عن الموت، والبكاء والخلف بعيدا عن شيئ من التعمق، ورغبته في كشف السر عن الحياة .[4]

1- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 49.

2- ينظر: خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 49-50.

3- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 52.

4- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 52.

3- تيار الغربي

بدت ثقافة مطران الأوربية في نظمه بعض القصائد بأعلام الأدب الغربي مثل "موليير وفيكتور هيجو، ولامارتين وغيرهم، ولقد استعاب أدب هؤلاء وفنهم، كما ظهرت ثقافته الأوربية من خلال طرحه لموضوعات جديدة. لم يتطرق إليها، والشاعر ذو ثقافة واحدة، وفي قصيدته التي صدر لها ديوانه تحت عنوان "1806-1870" يجمع جمعا رائعا بين العربية والفرنسية والواضح أن الشاعر قد تأثر بالأدب الغربي ككل، والأدب الفرنسي بشكل خاص. [1]

وقد لقب خليل مطران "شاعر القطرين" ثم "شاعر الأقطار العربية" يقول خليل مطران"في المعاودة وحدها تاريخ تكون شخصين فقد كان هناك عاملان يفعلان في نفسي شدة الحساسية ومحاسبة النفس ومن هذين العاملين خلصت بتكوين نفسي على نمط خاص". [2]

ولخليل مطران آثار مطران كآثار حافظ وشوقي والبارودي ففي مقدمتها ديوانه الذي يتمحور على أربعة أجزاء، وله كتاب تاريخي بعنوان "مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام" وترجم مع حافظ إبراهيم كتابا في الاقتصاد السياسي، في "الأهرام"و"المجلة المصرية" وعشرات المقالات جمعها ونشرها، محمد صبري في كتاب نشر بعنوان "خليل مطران أروع ما كتب" وهو كتاب يتضمن مقدمة جزء الأول من ديوانه، وكذلك مقدمة الجزء الثاني ومقدمات كتبها لدووين أخرى. وبعض، المقالات التي علق فيها على بعض الدواوين، ومقالتين مطولتين عن الموسيقى العربية، ومقال آخر مطول عن الشاعر محمود سامي البارودي سنة 1904. [3]

وأصدر خلال عمله بالصحافة مجلة نصف شهرية هي "المجلة المصرية" وصحيفة "الجوانب المصرية اليومية"، كما أسهم في تحرير جريدة "الأهرام، المؤيد، الوطن، اللواء" ولقد ساعد مطران بنشاطه المسرحي في تطوير المسرح العربي، وترجم المسرحيات الأوربية الشهيرة بالإضافة إلى ترجمته للأعمال العلمية، بغية إثراء الأدب العربي وتطويعه للتأثير العربي، وعين مطران مديرا للفرقة القومية بالمسرح المصري. وإحتل شكسبير الجانب الأكبر من ترجماته، فترجم له من بين مسرحياته "هاملت، مكبث" طبعتا في سنة 1950. [4]

1- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 50-51.

2- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 1022.

3- ينظر: محمد صبري، خليل أروع ما كتب، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، 1960، ص 15.

4- س. موريه، الشعر العربي الحديث 1800-1970 تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي ص 92.

II- ملامح الرومانسية في شعره

جاء شعراء الرومانسية مع بدايات القرن20، وثاروا على النموذج القديم للقصيدة من حيث المحتوى والصياغة، وأصروا على أن يكون الشعر تعبير عن ذات الشاعر ولاشيء سواها لذلك فقد كان الفرد نفسه موضوع الأدب عند الرومانسيين. وعلى هذا ينادي مخائيل نعيمة بأن الشعر ينبغي أن يكون تعبيرا حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية، من رجاء وبأس وفوز، إخفاق، إيمان وشك وحب، كره. [1]

إن النزعة الرومانسية التي نلتمسها في شعر مطران، تصدر في الحقيقة عن اختيار مطران لموضوعاته القصصية، من حكايات المعاناة والفقر والخديعة، والموت والبطولة والإخلاص، وجلائل. [2]

يمتاز خليل مطران بشعره الرومانسي، ورومانسيته تعود إلى تأثره بالثقافة الفرنسية وإلى شدة حساسيته، وتأثره بمجالي الطبيعة وأحوال الناس، وكانت كل هذه المشاهد تمتزج في دخيلة نفسه يلونها الخيال، وتراقبها المعاودة. [3]

ويعرف خليل مطران الشعر في رثائه لإسماعيل صبري :

الشِّعرُ تَلبيَه القَوا *** فِي والشُعور بها مُهيبُ
وبِه مِنَ الإيقاعِ ضَر *** بٌ لاَ تُحَاكِيهِ الضُروبُ
هُوَ مَحضُ مُوسيقِي *** وحِسانُ تُصَورُهَا الضُروبُ
هُوَ نُوحُ سَاقِيهِ شَكَتْ *** لاَ قَدْرُ مَا يَحْوِي القَلِيبُ
هُوَ مَا بَكَاهُ القَلبُ لاَ *** مِعْيَارُ مَا جَرَتْ الغُرُوبُ.

وهذا تعريف في قمة الروعة للشعر الرومانسي، والرومانسية صافية وواضحة، نلتمسها في بعض قصائده أولها "بدروبدر" حيث يقول

لَمْ أَنْسَ حِينَ اِلتَقَيْنَا *** والرَوْضُ زَاهٍ نَضِيرُ
إذْ العُيُونُ نِيَامُ *** واللَّيلُ رَاءٍ حَسِيرُ
نَشْكُو الغَرَامَ رِعَابًا *** وَرَبُ شَاكٍ شَكُورُ
وفِي الهَواء حَنِينُ *** مِنْ الهَوَى وَزَفِيرُ [4]

1- ينظر: طه وادي، جماليات القصيدة المعاصرة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط 1، 2000 ص 7-8.

2- سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص 93.

3- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 104.

4- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 104.

وفي "تبرئة" يخاطب حبيبته :

وإنَّ الَّذِي عَابَ مِنْكَ السُفُو *** ر كَمَنْ قَالَ للشَمْسِ يا سَافِرُه

وإنِي أَهْوَاكَ مِلءَ عُيُو *** نِي ومِلءَ حَشَاشِيبِ الصَابِرُه

ومِلءَ الزَمَانِ، وَمِلءَ المَكَا *** نِ، ودِنيايَ أَجْمَعَ والأَخِرَه

فالشاعر بعث حبه العفيف الذي يصنف المكان والزمان، والحب هو روح الوجود يربط بين الأشياء في الكون، ويربط بين المخلوقات والخالق، وبين الربة والبذور وبين الكوكب والكون.[1]

وهنا تتمثل رومانسية مطران التي سمى بها بالحب من قضية عاطفية بين شخصين إلى الكون ككل، وإلى الطبيعة ومن هنا بالحب يرتفع حتى يصل إلى الله الذي هو بطبيعته محبة.

وفي "قلعة بعلبك" يذكر فيها طفولته، وذكرى حبه الأول، وهي أبيات جميلة تصف القلعة وروعتها، وبدورها تحمل عاطفة الشاعر في طفولته، وعن حبه لهذه الفتاة التي يسميها "هند" ونفهم من ذلك أن قصة حبه تعود إلى الطفولة، ومن هنا زادت حرارته وشغفه، وبذلك نما هذا الحب وترعرع، حتى أصبح يملك إحساسات وعواطف [2]

ويقول خليل مطران مخاطبا بذلك القلعة، بعد غياب طويل متفكرا لطفولته وحبه :

وذَكِرِيني طُفُولَتِي وأَعِيدِي *** رَسْمَ عَهْدِ أَعْيُنِي مُتَوَارِي

يَومَ أَمْشِي عَلَى الطُّولِ السَّواجِي *** لاَ اِفْتِرارُ فِيهُنَّ إلاَّ اِفْتِرارِي

تَرِقْ بَيْنَهُنَّ عِـرًّا لَعُوبًا *** لاَهِيًا عَنْ تَبَصـرٌ واِعْتِبَـارِ

مُسْتَقِـلاَ عَظِيمُهَا مُسْتَخِفًّا *** مَا بِها مِنْ مَهَابَةٍ وَوَقَـارِ[3]

والهياكل الخالدة تمثل له الدمار والخراب في قوله:

حَبَذَا "هِنْدُ" ذَلِكَ العَهْدُ لَكِنْ كُلَ شَيءٍ إِلَى الرَّدَى والبَوَارِ [4]

وفي قصيدته "هو أَنْتِ" يقول:

يَا مُنَى القَلْبِ وَنُورَ العَـيْ *** نِ مُذْ كُنْـتُ وَكُنْتِ

لَمْ أَشْـأْ أَنْ يَعْلَمْ النَـا *** سُ بِمَا صُـنْتُ وَصُنْتِ

وَلَمَّا حَاذَرْتُ مِـنُ فِطْ *** نَتِهِمْ فِينَـا فَطِـنْتِ

1- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 107.

2- ينظر: ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 108.

3- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 108.

4- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 108.

وحب مطران هذا حب عذري عفيف، شأنه شأن الحب الرومانسي، وماتت هذه الفتاة التي أحبها بمرض خطير هو السل، ولقد كان بينه وبينها حاجز، قبل أن تنتقل إلى عالم الآخرة وذلك بسبب أنها كانت من عائلة راقية من عائلته.ومع ذلك ظل أمينا على حبه وعشقه لها ومحافظا على كل ذكرياته معها، ونذر على نفسه أن لا يتزوج بعد فقدانها وبذلك نذر حياته للعزوبية. [1]

ويعترف الشاعر في هذه الأبيات عن كتمان حبه، الذي تركه في قلبه فقط، ولم يخبر به أحد حيث يقول:

كَتَمْتُ هَوَاكِ دَهْرًا لاَ بِخَوْفٍ *** ومَا أنَا مِنَ يُرَوِّعُهُ الحِمَامُ

ولَكِنِّي حَرِصْتُ عَلَيكِ مِنْهُمْ *** ولَوْ أَوْدَى بِمُهْجَتِي الغَرَامُ [2]

ويعرف الحب بقوله:

الحُبُ فِي المَعْنَى العَمِيمُ الكَامِلُ *** مَعْنَى المَرَاحِمِ والفِدَاءُ الشَامِلِ

وفي هذا البيت يعبر الشاعر عن حالته النفسية، التي أصبحت كلها ألم وكآبة، وحزن بعد موت حبيبته.

وتبدو رومانسية مطران في تفاعله مع الطبيعة، وذلك في قوله:

مَنْ عَلَّمَ الزَّهْرُ أنْ يَفْتَرّ لِي كَذِّبًا *** وبَاكِي السُحْبِ أنْ يَنْدِى ومَا صدَقَا

ونَائِحِ الطَيْرِ إيلاَمِي بِمَنْطِقِهِ *** كَأَنَّـهُ شَارِحُ حالِي بِمَا نَطَقَا؟

ومَا بِنْسَ الغُصْنِ إغْرَائِي بِعَطْفَتِهِ *** فَإنْ دَنَوْتُ تَسَامَى نَافِرا فَرِقَا؟[3]

ويقول زكي أبو شادي "وعاطفة الحب التي ألهبت فؤاد مطران في صباه، ثم ألفته في لجة الحزن العميق بقية حياته، هي دعامة الزاوية في بنيان شعره الوجداني" [4]

المقصود من هذه المقولة، أن الحب الذي إمتلء له قلب مطران وعاطفته الجياشة اتجاه حبيبته، جعلته بعد ذلك يعيش في حزن وكآبة طوال حياته، وهذه بمثابة مقوم أساسي في لفظه لشعر الوجدان والعاطفة .

"والأسد الباكي" التي قالها وهو مكتف في "عين الشمس" حوالي سنة 1912، وقد إنتابه حزن شديد على إثر مضاربة قام بها، فخسر ثروته هي إحدى روائعه، وقد عرفت هذه القصيدة "ساعة بأس"،

1- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 116.

2- ديوان خليل مطران، ج 1، دار مارون عبود، بيروت، 1975، ص 189.

3- ديوان خليل مطران ، ج 1 ، ص 195.

4- جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 120.

لأن الشاعر كان قد ضاق بالحياة، وضاق بالناس، وعزم على الانتحار لو لم يتداركه أصدقاؤه الكثر ليخففوا عنه.[1]

ومطلع هذه القصيدة جميل رائع والتي يقول فيها :

دَعَوْتُكِ أَسْتَشْفِى إِلَيْكَ فوافني *** علَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكَ أَنَّكَ لِي آسِي. [2]

وتظهر رومانسية خليل مطران في نهاية القصيدة كما إبتدأت في مطلعها :

أَنَا الأَلَمْ السَاجِي لِبُعْدِ مَزَافِرِي *** أَنَا الأَمَلُ الدَاجِي ولمْ يَخْبُ نِبْرَاسِ

أَنَا الأَسَدُ البَاكِي، أَنَا جَبَلُ الأَسَى *** أَنَا الرَّمْسُ يَمْشِي دَامِيَا فَوقَ أَرْمَاسِ

فِيَا مُنْتَهَى حُنِيٍّ إلى مُنْتَهَى المُنَى *** ونِعْمَةَ فِكْرِي فَوْقَ شَقْوَةَ إِحْسَاسِ[3]

" يزعم إسماعيل أدهم أن مطران كان رائد التيار الرومانسي في الشعر العربي، فهو يقول إن مطران كان رومانسيا في نفوره من الموضوع التقليدي، واستحداثه للشعر القصصي، والشعر التصويري. فاشتغال مطران بالعبارة الرومانسية الذاتية، من ذلك النوع نجد في الشعر الرومانسي الغربي، ونجد ذلك في قصائده الشخصية القليلة التي تغلب عنها التجربة الذاتية الحزينة، كما أن مطران كان في مجالات نادرة التي يهتدي فيها إلى التعبير عن ذاته، فقد كان يميل إلى الشيء من التأمل، وتسير الطبيعة فيه خيطا من العواطف والذكريات، ولكن الشاعر لا يصبح جزءا من الطبيعة، إذن إن ميول مطران إلى الرومانسية، قد حد منها ما أورثه من الشعر القديم ، من حسن في التوازن، ومن إغراق في التنقيح، ومن فتور العاطفة عنده أحيانا فقد حمل شعره التباشير الأولى للتعبير الأماسي، وأدخل النزعة الرومانسية، وذلك من اهتمامه بالطبيعة، واختياره لموضوعات الرومانسية ".[4]

" ويقول الدكتور"محمد مندور" "في مثل هذا الجو كان من المستحيل أن يظهر أي أدب غير أدب الشكوى والأنين، فالشاعر لا يستطيع أن يتحدث عن نفسه، وعن أحلامه وغرامه وأشواق روحه، أو يهرب من الحجم الذي يحيط به إلى الطبيعة ومناظرها، وملاهيها، يعتز بها عن آلامه وآلام قومه، دون أن يستطيع الإفصاح عن مصدر هذه الآلام". [5]

وخلاصة القول أن الملامح الرومانسية التي تبدو بارزة في شعر مطران هي.[6]

1- جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 123.

2- جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 123.

3- جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 123.

4- سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص 91.

5- سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماته الفنية وطاقاتها الايداعية، ص 46.

6- جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 130.

- ❖ حبه لفتاته.
- ❖ تقديسه للحب وجعله الرابط الذي يربط العوالم ببعضها البعض.
- ❖ تقربه من الطبيعة، والنظر إليها نظرة جديدة ومشاركتها له في أحاسيسها، والحلول فيها.
- ❖ تقديسه للألم.
- ❖ الكآبة.
- ❖ حبه للجمال.
- ❖ نقمته على الفساد في المجتمع وهروبه إلى الطبيعة.
- ❖ خروجه إلى الصوفية الشرقية.

III- أغراضه الشعرية:

خُلق خليل مطران شاعرا، وخلق ليكون إنسانا في شعره، فقد جمع بين عمق شعوره وقوة خياله، ونظرته الحادة الهادفة إلى الأشياء، وإعمال فكره في كل شيء، وميله إلى تتبع جزئيات، ورصانة في التفهم والشعور، وذوقه الذي لا يخطئ، وإدراكه للسحر الموسيقي الخلاب.[1]

ومن أهم الأغراض الشعرية التي تناولها خليل مطران تتمثل في:

1- **الشعر** القصصي:

جدد خليل مطران في الشعر القصصي، وكان بحق أول شاعر عربي نضج عنده هذا الفن.[2]

ولجأ مطران إلى الشعر القصصي ليعبر عن أفكاره الخاصة، عن المجتمع والحرية والطغيان أو ليروي قصة حبه المأساوي لخاصة فقصائد مثل "مقتل بزر جمهر" تمتلىء بالمعاني الاجتماعية والسياسية، ذات الطبيعة الثورية البالغة [3]وقصص مطران تنقسم إلى قسمين:

أ- **قصص تاريخية:**

يأخذ مادته من التاريخ إما باستعمال القصة التاريخية استغلالا تما، وإما يتناولها الخيال بشيء من التحوير مثال ذلك "مقتل بزر جمهر"و"نيرون"و"فتاة الجبل الأسود"و"فنجان قهوة"، وهو في قصصه هذا ثائر على الظلم والاستبداد، يستغل القصص والحوادث التاريخية يغلف بها بذور ثروته ونقمته.

1- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 1023.

2- جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 133.

3- سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص 93.

ب- **قصص اجتماعية:**

لم يأخذ مادته من التاريخ بل التقطه من صميم الحياة الاجتماعية والبيئة، التي يعيش فيها وكسب فيه ما شاء من أحاديث، أمثال "بنت شيخ القبيلة"و"الجنين الشهيد"و"حكاية عاشقين"و"الوردة والزنبقة"و"الطفلان ووفاء".[1]

وقد ساعد مطران عن طريق آخر على بعث القصص، ووضع اللون الجديد على الأدب العربي، بين أيدي القارئ وتعويده عليه لكي يألفه ذوقه فيقبل عليه، وكان ذلك عن طريق ترجمته لروائع مسرحيات الغرب فقد ترجم "لكورناي"و"سينا".

ففي "وفاء" يقص الشاعر قصة فتاة"عوادة" جرت في مصر، ويبدأ قصته بوصف محاسن الفتاة التي أثرت الطواف متوسل، فلما رآها فتى وسيم غازلها، وأكد ذلك في قوله :

فقالَ لهاَ بلْ يَشْهدُ اللهُ بيننَا *** وأسقامُ قَلبِي الوَالِهُ المتَوجَّعِ

وتشهدُ هذهِ الشمسُ عندَ غُروبِهَا *** ومَاحولنَا منْ نُورهَا المُتفرعِ

ويشهدُ ذا الرَوضُ الأريضُ ودوحهُ *** ومَا فِيهِ منْ زَهرٍ وعَطرِ مُضوعِ [2]

وأرقى قصصه الاجتماعية "الجنين الشهيد" يقدم لها بقوله "هي قصة جرت في مصر حضر الناظم وقادها كما شهد حكاية العاشقين، ووصفها بحقيقتها لتكون ذكرة وعبرة " وفي هذه القصيدة من النادر أن نجد مثلها في الشعر العربي قديمة والحديثة، تكاد تحوي جميع مميزات شعر مطران فالخيال والعاطفة والتصوير حسن السبك، ووحدة القصيدة [3]

ويرى شفيق المعلوف "أنه ليس غلوا قولنا، أن خليلا قد برز في فن الشعر القصصي، وهو في مقدمة شعراء العرب " ولو تتبعنا نتاجه الأدبي، لوجدنا ذلك النوع غالبا في معظم شعره وإليك ما قاله في إحدى بواكير قصائده في وصف فاجعة :

خَطيئةُ شهرِ سابقَ المَوتَ بَعلهَا *** وإليهَا فأغْواهَا ولكِنْ على طُهرِ

وهذا البيت دلالة على أن مطران نقاء الفكرة، وصفاء الخيال، والدقة في الوصف، وكذلك البراعة في السرد الذي كانت من أبرز صفاته . [4]

2- شعر الثورة والحرية:

1- جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 133.

2 – الديوان ، ج 1، ص 135.

3 – الديوان ، ج 1، ص 223.

4 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 141.

شعر مطران عن الثورة، ينقسم إلى نوعين نوع يقع تحت قصص التاريخي يلجأ إليه الشاعر، ويفرغ نقمته على الظلم، دون أن يعرض بأحد من الحاكمين، يتناول شخصية تاريخية عرفت بالإستبداد أمثال كسرى ونيرون ويسكب فيها ثورته عن طائفة الظالمين، والنوع الثاني هو قصائد ثائرة متحررة صريحة، يقولها الشاعر دون خوف أو خجل.

وفي حديث مع الشاعر يجيب عن السؤال يتعلق بغرض الشعر يقول "لقد رأيت أن الشعر، كان عاملا قويا في نهضة الدول، فيجب أن لا يكون مجرد مدح وذم، ومراعاة للظروف والأحوال، وبجب أن يكون للقصيدة غرض واحد، وأن تكون صادقة بالنسبة لغرضك منها هذا هو القصد الأول، من أجله عملت، وإلى جانب هذا، كنت أرى آلام الشعوب وتعاستها، وأنكرها، وإعتقد أنها متأنية للشعوب منها لنفسها " [1]

وكان مجموع ما نظمه من الشعر ثوري تتبع قصائد هي

- ❖ السور الكبير في الصين
- ❖ الأهرام
- ❖ للقتل برز جمهر
- ❖ فنجان قهوة
- ❖ حرب غير عادلة ولا متعادلة
- ❖ فتاة الجبل الأسود
- ❖ عتاب واستصراخ
- ❖ في ظل تمثال زعمسيس
- ❖ نيرون

يقول الرفاعي "كان بين مطران وزعيم مصطفى كامل صداقة وود، داما طول العمر كان مؤيدا لدعوته نصير الرسالته دافع عنها في حياة مصطفى وظل وفيا بعد مماته " [2]

ويظهر ولائه له في قصيدته هذه يقول :

جَزَعُ النَصارىَ واليَهُودُ لِمسلمٍ *** هُوَ خَيرُ وإلىَ وأوفَى منْ وَفَى

وفي قصيدته "فنجان قهوة " يقول :

البَحْرُ سَاجٍ والسَكينةُ سَائِدهْ *** والليلُ داجٍ والمَدينَة رَاقِدَه

غَمَرَ الظَلاَمُ هِضابَهَا وجِبالهَا *** وقِلالهَا وصُرُوحَهَا فَأزَالَهَا

1 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 144.

2 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 148.

وهي قصة تنتهي بمأساة، وذلك بموت البطلين فأكثر قصص مطران تدور حول الحب [1] وتعتبر قصيدة "نيرون" من إحدى طوال الملاحم في الشعر العربي تساق في عهد قافية واحدة يقول مطران "تعلمون أن الشعر العربي إلى هذا اليوم، لم تنظم فيه القصائد المطولات الكبرى في موضوع واحد وذلك لإلتزام القافية الواحدة، كان ولم يزل حائلا دون كل محاولة من هذا القبيل " [2]

وفي الأهرام، تظهر ثورة مطران على الظلم، فليس هدف الشاعر وصف الأهرام، من حيث هي ضخامة وإنها هي رمز للظلم والإستبداد، ويهب مطران لهؤلاء الفراعنة أن :

قُومُو اُنظُرُوا السُّوقَةَ فِيمَا حَولَكُمْ *** تَدُوسُ هَامَاتُ المُلوكِ هَمَدًا

قُومُوواُنظرُوا العَدوُ في دِيارِكُمْ *** يَحْكُمُ فِيهَا مُستَبِدًا أَيَدَا [3]

3-شعر المناسبات

فشعر المنسبات هو اللون الشعري الأقدم والأرسخ في حياة العرب، إذ إنطبع منذ البداية بطابع المنسبات التي يتبارى فيها الشعراء [4]

وشعر المناسبات أو شعر الطلب إذ شئنا له تسمية أخرى، هو ذلك الشعر الذي ينظم في المدح والرثاء، ووصف المأدبات و الحفلات، والزواج والتهاني، وما إلى ذلك من مواضيع ليس فيها مادة الشعر ما يهيج الخاطر ويدفع الشاعر إلى الإبداع.

ويميز مطران بين الشعر الذي يقال لنفسه، وشعر المناسبات، وحين سئل عن رأيه في الفرق بين الشعر العربي والشعر الغربي، قال " يمكن أن أقول بإختصار، إن الشعر العربي أو الشاعر العربي ذاتي، أما الشاعر الغربي فموضوعي، وكذلك ليس في الشعر الغربي مديح أو هجاء أو فخر أو عتاب، أو نحو ذلك من الأشياء التي ألفناها في أشعارنا القديمة والحديثة " [5]

ويقول " محمد مندور" "أشعار المناسبات في ديوان الخليل، إلى إضطراره أن يهجر مسقط رأسه، فيسلح حياته، إما بين قوم عزباء كالفرنسين أو بين قوم مهما قيل في إخوتهم له وإرتباطه بهم بمختلف الروابط ".

1 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 148.

2 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 152.

3 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 154.

4 – إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 56.

5 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 178.

وخليل مطران في مناسباته، يتناول مواضيع عديدة، تناولها قبله شوقي وحافظ وخاصة في الرثاء. ونجد خليل يقول في أصدقائه :

إنِّي كَثيرُ بِإِخْـوَا *** ـِ ني مَا مُوسِيرُ لهُ رَأسُمالِي [1]

فيقول " ولولا عطف نقمة من أولئك، الأصدقاء عليه لغز على الشاعر في أخريات أيامه أن يجد اللقمة يتتبع بها، وهو الذي كان يفرغ جيبه في أيدي البائسين كلما صادفه واحد منهم، ولا سيما من المشتغلين بالأدب أو من الذين يدعون الانتساب إلى الشعر ".

وإن مناسبات مطران تظهر لحبه، والطبيعة التي يمسحها إلى الناس ومشاركته لأفراحهم وأحزانهم، ومطران حر في أن يمدح أو يهنىء أو يعزي، ولكن عليه كشاعر واجبه آخر هو عدم تسخير الشعر للأشياء لا تخرج عن مناسبات متعددة.

ويرى أدهم أن مطران كان صاحب شعور اجتماعي، تلون بصلاته بالناس، وأنه كان يسترسل مع هذا الشعور، فينظم في أغراض إجتماعية الكثير من الشعر، فقد خلق الرجل وفيه اللطف، وبسجينة وميل لمعاشرة الناس. [2]

4- الـرثاء

إن ديوان خليل مطران مليىء بالرثاء، فله ما يقارب تسعين قصيدة من تأنيب وذكر وتعازي، ورثاء مطران ينقسم إلى قسمين :

1/ رثاء يقوله عن أصدقاءه، وأصحابه، أو حكام وأمراءه وهو يراعي الألفة والصداقة.

2/ رثاء صادق لا يتكلفه، بل هو مدفوع إليه، وهو رثاءه لأبطال مصر، وعن أصدقاءه الشعراء المقربين، وهو نابع من قلبه[3]

ونجد رثاءه"للأميرة كاملة" حيث يقول :

مِنَ المَلأِ الأَسمَى على ذَلكَ قَبْر *** مَلائِكُ حُراسُ الفَضيلةُ والطُهَر

سُجَودُ على بابِ الضَريحِ الذَي ثَوتْ *** بِه مُصطَفَاهُ الله كَامِلةُ البّر

سلامٌ عَليكُمْ فالزَمُوهُ وآنِسُوا *** غَلالَة حُسنٍ تُبتَلَى بِيدِ الهَجْرِ[4]

وفي رثاءه لأستاذ إبراهيم اليازجي صاحب الفضل في توجيهه يبدأ قوله بهذا المطلع الفخم يقول:

رَبُ البَيَانِ وَسيدُ القَلمِ *** وفَّيْتُ قِسطكَ للْعُلَى قَيمِ

نِمْ عنْ مَتَاعبِهاَ الجِسَامِ وَذَرْ *** ألاَمَهَا عنُـمًا لِمُغنِمِ

1 – ينظر، جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 180–181.

2 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 185.

3 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 185.

4 – إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 57.

ماَ أصغرَ الدُنيَا وأَحقَرَهَا *** في جَنبِ مَا لِلمَيتِ مِنْ عَظَمِ[1]

وفي رثاءه لأحمد شوقي يقول :

عجَبًا أتوَحَشنِـي وأنْتَ إزَائِي *** وضَيَاءُ وَجْهُكِ مِلئُهُ سَودَائِي

لكِنَهُ حَقُ وإنْ أبَيتِ المُنَـى *** أَنَا تَغْرَّ قَنَا لِغـيرِ لِقَاءِ

جَرَحُوا صَميمَ القَلْبِ حَينَ تَحَمُلوا *** اللهُ فِي جُرْحِ بِغيرِ شِفَاءِ[2]

يصور الشاعر هنا وحشته له بعد رحيله عنه، وهو صادق في تصوير حزنه، فلقد أصبح وحيد وتمنيه لو رحل مع الراحلين .

وكذلك يرثي المصطلح الإجتماعي معدد بذلك فضائله على أمته فيقول :

لقَدْ فَدَحَ الخَطْبُ في " قَاسِمِ " *** فَبَالُكَ مِنْ زَمَنِ غَاسِمِ

أمَا يَشْفَعُ الفَضْلَ فِي فَاضِلِ *** أمَا يَشْفَعُ العِلمَ في عَالَمِ ؟[3]

5- التهاني والحفلات

مطران بفضل موهبته الشعرية، وذوقه الفني استطاع أن يجيد النظم في هذا الغرض ويرضي القارىء، ففي زفاف الآنسة " نجلاء سركيس " يقول في مدح والد العروس " سليم سركيس " :

ومَا سَلِيمُ إلاَّ أبَـرُّ أَبٍ *** رَبَى بَنِيهِ بالخُطَةِ الفُضْلَى

يُجِيدُ فِي كُلِّ مَا يَجِيءُ بِـهِ *** أكَانَ قَولاً مَا جَاءَ أَمْ فِعْلاً [4]

ومن قوله في قران أميل زيدان بك والآنسة " روز كريمة " يقول :

هُوَ يَومُ أَغـرُّ مُبْتَسِمْ *** عَنْ وُجُوهِ بالبُشْرِّ غُرَانِ

رِضَى المَجْدُ أنْ شَرُفُ بِهِ *** بِنتُ " تومَا " إلى إبنِ زَيْدانِ[5]

ففي قصيدته التي يهنىء فيها الخديو عباس الثاني على إثر فتح السودان يقول

النِيلُ عَبدُكَ والمِياهُ جَوارِي باليُمنِ والبَرَكَاتِ فِيهِ جِوارِ

أَمَنتُهُ بِمَعَاقِلِ والجَوارِي وجَعَلْتُه مَلِكًا عَزِيزَ جِوَارِ [6]

1 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 195.

2 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 198.

3 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 196.

4 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 200– 201.

5 – جحا ميشال، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 202.

6 – إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 56.

الفصل الثاني

مظاهر التجديد عند خليل مطران

I- مفهوم التجديد

1- لغة

2- إصطلاحا .

II- عوامل التجديد .

III- مظاهر التجديد :

1- المضمون

2- الإيقاع .

قد تعتري الشعر جملة من الظواهر التى تشغل بال الدارسين والباحثين ، فيحاولون تسليط الضوء عليها ، قصد تحديد مفهومها وضبط أسبابها واستجلاء مظاهرها ، من ذلك ظاهرة التجديد في الشعر العبي الحديث ، الذي طرأت على شكله أنماط من التغيير ، والتطور راجعة في أساسها إلى بنية المجتمع وحالته في هذا السياق يقول أحمد حسن الزيات : " وأنت إذا أخذت الشعر العربي كله بنظرة واحدة ، فعرضت تاريخه ، كما تعرض تاريخ الكائن الحي وجدته قد تطور في موضوعه ، تطور الأمة العربية وقطع معها مراحل الحياة الإنسانية " .[1]

من هذا المنطلق ما المقصود بالتجديد تحديدا ؟ وهل التجديد في الشعر عامة نعنى به الخروج ما ألفناه في القصائد العربية شكلا ومضمونا ؟ أم يعنى الإبقاء على ما هو قديم ، وإعادة صياغته بطريقة جديدة ؟

I – مفهوم التجديد :

1– لغة :

❖ مأخوذ من الجدة مصدر جديد ، وأجدّ ثوبا ، و اسْتجدّه وتجدّد الشيء، وصار جديداً ، وأجدّه، واستجدّه أي صيّره جديداً .

❖ والجديد ما لاعهد لك به ، ولذلك وصف الموت بالجديد، وقال الأخفش والمفاجض الباهلي: جديد الموت أوله [2] .

❖ وجدّ منه جدّا : اجتهد ، ومنه جدّ في الأمر بمعنى حقق أو اهتم، وأجدّ في الأمر هي ضد هزل ، وأجدّ الأمر بعنى حققه أي أحكمه ، والجد مصدر الإجتهاد .

والجديد من جديد وجديدة ، أي ج جُدد : عكس قديم، و جدّة الثوب : صار جديداً ، جّدد وأجدّ الشيء : صيّره جديداً . [3]

2– اصطلاحا :

التجديد كمفهوم تتسع أطره ، وتختلف شروطه باختلاف العصور، فهو يحمل عدة افتراضات منها التغيير أي تغيير ما هو سيء ، والإتيان بما هو أحسن، وقد يعنى إعادة صياغة القديم في صورة جديدة ملائمة للعصر في حد ذاته ، وفق شروط لا يتم التجديد إلا بها. فليس من السهل تجاوز الموروث دون فهمه، وتمثله بوعي كي يتسنى بعد ذلك محاولة بنائه بشكل مستحدث يتماشى مع روح العصر.

ومفهوم التجديد عند البارودي يتمثل في حركة البعد، وعند شوقي بالإحياء، ويتمثل أيضا في الارتفاع بالشعر إلى مستوى الشعر العالمي من حيث الأفكار والمعاني والأغراض والأخيلة،

1 – أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي – دار المعرفة – بيروت– لبنان 2006 ط10 ص 183.

2 – ابن منظور – لسان العرب بيروت – لبنان – مجلد 03 ، ط1 ، سنة 1992 ص 110.

3 – المنجد في اللغة وأعلام – دار المشرق – طبعة جديدة منقحة ، بيروت ص 80.

وثقافة العصر، ومن حيث إثراء حركة الشعر العربي بالشعر القصصي والملحمي والمسرحي ووصف الطبيعة، ومشاهد الحضارة، ومن حيث الحرص على وحدة القصيدة، وعمق تجربة الشاعر، والإرتفاع بموسيقي الشعر إلى مستوى البحتري، وابن زيدون والشريف وأمثالهم[1]

وأدونيس يرى : " أن البدعة في اللغة ، ما كان مخترعا على غير مثال سابق، والإبداع إحداث شيء على غير مثال سابق، ويقول ابن سينا أن الإبداع هو أن يكون من شيء وجود لغيره متعلق به فقط ، دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان " [2] .

فالتجديد أو الإبداع كما عبرعنه أدونيس، يعني الإتيان بشيء لا يوجد شبيه له فيما مضى.

يقول طه حسين : " وليس كل محافظة على القديم تقليدا، ولا كل إضافة إلى القديم تجديد..... وإنما للتقليد وللتجديد في الحياة الأدبية بنوع أصول وشروط لا تتحقق المحافظة إلا بها، وليس التقليد أيسر من التجديد في حياة الناس المادية، لأن حياتهم المادية محدودة، بما يتاح لهم، وما يتاح، و ما يسير لهم أمور الحياة وما يسير لهم " [3]

وللتجديد في الحياة الأدبية حسب رأي "طه حسين" بشكل خاص أصول وشروط لا بد من توافرها، فليست كل إضافة إلى القديم تجديدا ، فالتجديد بحاجة إلى فهم عميق، ولابد أن يتصل المجدد اتصالا يطول مداه بأحداث الحياة الطارئة والتجديد لا يأتي إلا بعد الفهم والتعمق والدرس الطويل والتمرين على هذا كله.

والتجديد بمفهومه مرتبط في الدراسات المعاصرة بمفهوم الحداثة،وهما وجهان لعملة واحدة، والحداثة : " لا تعنى رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث " . [4]

إذا فالحداثة أو التجديد لا تعني تجاوز التراث ورفض كل ما فيه ، لأن التجديد لا يأتي من العدم والإضافة إلى القديم و إعادة صياغته وطريقة تعامله والارتقاء به إلى مستويات عليا هي التجديد .

---

1 – ينظر، محمد عبد المنعم خفاجي ،مدارس الشعر العربي الحديث – دار الوفاء – دنيا للطباعة والنشر– الإسكندرية ط1 ، سنة 2004 ص 16.

2 – أدونيس الثابت والمتحول – بحث في الإبداع والإتباع عند العرب – ج2 – ط8 دار السياق – بيروت – لبنان 2002 – ص160.

3 – طه حسين – تقليد وتجديد – دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ط3 1984 ص 24.

4 – محمد عابد الجابري – التراث والحداثة – دراسات ومناقشات – دراسات الوحدة العربية – بيروت لبنان ط2 – 1999– ص 15– 16.

II- عوامل التجديد :

لقد كان تجديد مطران أكثر من هؤلاء الذين سبق التحدث عنهم، إذ أحدث تغييرا في الشعر العربي الحديث، بالإضافة إلى إجماع النقاد على أنه رائد المدرسة الجديدة في الشعر التي تتجاوز المدرسة الإحيائية، وتمتد إلى جماعة أبولو، وأحمد زكي، أبو شادي ، وإبراهيم ناجي، وثمة كانت محاولة مصران خلق نماذج جديدة لم تكن موجودة في القديم، ومن نها تتساءل : ما العوامل التي أدت إلى التجديد ؟ .

لقد كان من أسباب تجديد "مطران" هو إحتكاكه بالثقافة الغربية، وبالخصوص الفرنسية من خلال ترجمته للعديد من الأعمال الأدبية للشعراء والكتاب الفرنسيين أمثال : "فيكتور هيجو" و " الفرد دي موسيه " ومن ثمة اكتسب ثقافة معتبرة، كانت له عونا وحافزا للتجديد، أراد "مطران" أن يجدد في الحياة ذاتها، ومن ثم فإن ما نلمحه في البداية، أنه لجأ إلى التجديد، إنطلاقا من شخصيته الثائرة الرافضة للحياة، في خلل الحكم التركي، إذ بقي الصراع في الحكم ومطالبة الشعب بحقه، ومن هنا نما شعر "مطران" الذي نلمسه في قصائده مثل "نيرون" "مقتل بزر جمهر" "قنا الجبل الأسود" وإن ثور مطران كانت موجهة إلى أصحاب الصنعة و جمود اللغة . [1]

ومن دوافع التجديد عند "خليل مطران" أيضا تأثره بالرومانسية ، وحبه للطبيعة ، فأول مذهب أنشيء كما هو معروف في الأدب هو المذهب الكلاسيكي ، أو محاكاة القدامى ، والسي على نهجهم بالإضافة إلى سيطرة العقل، و الإبتعاد عن الذاتية ، وعدم التغلغل في أعماق النفس البشرية، ثم إن هذا المذهب ما لبث أن إندثرن وحل محله المذهب الإبداعي أو الرومانسي، الذي نشأ في أوروبا خاصة في فرنسا، وهذا مثله مطران وتأثر به .[2]

III- مظاهر التجديد :

كان تراثنا الشعري يتمثل في القصيدة العربية العمودية التي ورثناها عن امرئ القيس وحسان ، وجرير، وغيرهم من الشعراء الذين أغنوا الشعر العربي ، والشعر الأصيل جزء من كيان القصيدة العربية، التي لا تسمى قصيدة شعرية ، حتى تكون أبياتها من بحر شعري واحد وحتى تلتزم فيها قافية واحدة، ثم بدأ شعر راؤنا المعاصرون بإبداء رغبتهم في التجديد، وتسهيلا عن أنفسهم من قيود الفن والتزاماته، وجازوا لأنفسهم أن تشمل القصيدة عدة أوزان، وتعدد في القوافي في القصيدة الواحدة . وبدأت مدارس الشعر الجديد تدعو إلى التجديد في القصيدة الشعرية فدعا مطران إلى الشعر المرسل المطلق من إلتزام القافية ، وإلى الشعر الحر لتصبح القصيدة العربية

1 – محمد عطا ، خليل مطران – دار المعارف – مصر ، القاهرة ، سنة 1959 د– ط ص 32.

2 – سلمى الخضراء الجيوسي– الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ص 82.

أكثر مرونة، ويمكن استخدامها في الشعر القصصي، المسرحي، الملحمي ولتكون أكثر تعبيرا عن ذاتية الشاعر ومشاعره العميقة . [1]

من المؤكد أن مطران في نظر الكثيرين يشغل مكانة مهمة في الشعر العربي الحديث وكثيرون يعتبرونه رائد التجديد في عصره، ويقال أنه أول شاعر في جيله عكس النزعات الحديثة، وتحرر من جمود التقاليد الشعرية، وإنه كان السلف الطيب لشعراء مثل "العقاد"و "شكري" و "المازني" ، وأول شاعر أدخل النزعة القصصية في الشعر العربي الحديث . [2]

وخليل مطران هو أحد المجددين، ومن ذلك علينا أن نتساءل : أين التجديد الذي جاء به مطران ؟ وهل شعر مطران جديد كله ؟ أم أن التجديد محصور في مواضيع خاصة لا يتعداها ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة نقول أن مطران جدد في بعض نواحي الشعر، ولم يجدد في الشعر تجديدا جذريا كاملا ، وسوف نتطرق إلى ذلك من خلال ناحيتين هما : "المضمون والإيقاع" .

يقول طه حسين : " أن مطران ثائر على الشعر القديم ، ناهض مع المجددين ، وهو قد سلك طريق القدماء فلم تعجبه، فأعرض عن الشعر ثم اضطر ، فعاد إليه، وحاول أن يعود إليه مجددا لا مقلدا ، وهو ينبئك بأنه يعرض عليك في ديوانه شيئا من شعر القديم، تتبين به مقدرا ما وصل إليه من التجديد ، وهو متواضع لا يزعم أنه بلغ من التجديد ما يريد ، وإنما يترك ذلك للذين سيأتون من بعده، وهو شجاع لا يعتذر ولا يتلطف وإنما يعلن ثورته على القديم واغتباطه بالعصر الذي يعيش فيه ، وحرصه على أن يلاءم بين شعره وبين هذا العصر " [3]

فخليل مطران أحدث ثورة على الشعر القديم، وجاء مع المجددين ، وقد نسج على منوال الشعراء القدماء فلم تعجبه طريقتهم فأعرض لكنه بعد ذلك عادوا إليه بصفة المجدد لا المقلد وتمثل ذلك في كتابته حسب ما يلاءم العصر الذي يعيش فيه .

1- المضمون :

من أبرز مظاهر التجديد في شعر "خليل مطران" تجنب الوقوف عند القشور والطلاء الخارجي، في أي موضوع يتناوله فإذا وصف الطبيعة مثلا ودنا وصفه لا يخلو من عاطفة حارة و إحساس صادق يقوم على مزج الشعور ما يصفه وما يراه ، يقول :

---

1 - ينظر، محمد عبد المنعم خفاجي ،مدارس الشعر العربي الحديث - دار الوفاء - دنيا للطباعة والنشر- الإسكندرية ط1 ، سنة 2004 ص 306- 307.

2 - سلمى الخضراء الجيوسي- الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث - بيروت لبنان ط1 2001 ص 87.

3 - جحا ميشال - خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث - بيروت - الطبعة الأولى 1981 ص 231 - 232.

لله لبنان ما أبهاه من جبـل * * * يمشي به الحسن تصويبا وتصعيدا
في كل موضع طرف آية عجب * * * تلقي المنى وتريح الذهن ملدودا
درابه بخر الأزهار موتقـة * * * وماؤه قرقف ينلشـي الأماليدا .

كلمة "طرف" هنا من الكلمات التي أكثر الشعراء من استخدمها في الشعر العربي القديم، وتشبيه الماء في لبنان بالخمر "قرقف" وكذلك نجد كلمة "الأماليد" وهي جمع "أملود" وهو الغصن، وهذا ما يدخل في باب التقليد ، ولكن هناك سمات تجديدية أضافها خليل مطران وهي صدق العاطفة [1]

ونرجع إلى رأي الشاعر نفسه في التجديد نجده يقول : " أردت التجديد في الشعر وبذاك فيه ما بذلت من جهد عن عقيدة راسخة في نفسي، وهي أنه في الشعر كما في النثر شرط إبقاء اللغة حية ناهية ، على أنني اضطررت، مراعاة الأحوال التى حفت بها نشأتي، ألا أفاجئ الناس بكل ما كان بجيش بخاطري وخصوصا ألا أفاجئهم بالصورة التي كنت أو ثرها للتعبير، لو كنت طليقا، فجاريت العتيق في الصورة، بقدر ما وسعه جهدي وتضلعي من الأصول، واطلاعي على مخلفات الفصحاء. وتحررت منه، وأنا في الظاهر أنابعه بنوع خاص من الوصف والتصوير. [2]

يقر في هذا القول بأنه كان يجاري العتيق ويتحرر منه، ولكن هو في الظاهر هو يتابعه وذلك بإدخال الجديد من خلال الوصف والتصوير بالإضافة إلى إدخال فنون القصص والملاحم وعي ذلك.

أيضا لجأ إلى أسلوب التكرار، وهو تكرار يعتمد على الحرف أحيانا كتكريره للواو في أول الأبيات، أو تكرار الأسلوب نحو تكريره لأسلوب النداء في الأبيات الآتية :

يا كوكبا من يهتدي في صبائه * * * يهديـه ظلـه ورياء
يا موردا يسقي الورود صرابه * * * ضمأ إلى أن يهلكو بضماء
يا زهرة تحكي روائع حسنـها * * * وتميت عاشقها بلا ارعاء .

وفي ديوانه الأول الذي أصدره عام 1908 ، كان مشفوعا بمقدمة أصر فيها على عفوية النظم وعلى المحاولة الواعية في الوقت نفسه لإبداع تشبيهات غير مألوفة، واستهال الكلمات والعبارات في أساليب غير معتادة مع الحاظ على قواعد اللغة.

قال عن شعره : " هذا شعر ليس ناظمه بعبده، ولا تحملة ضرورات الوزن، على غير قصيدة يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الصحيح ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ، ولو أنكر جاره وشاتم أخاه ودابر المطلع، وقاطع المقطع، وخالف الختام، بل ينظر إلى جمال ، البيت في

1 – ينظر – عبد الله شرارة – خليل مطران – دار الصادرة – بيروت – لبنان – د .ط 1964 ص 54.

2 – جحا ميشال – خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث – بيروت – الطبعة الأولى 1981 ص 85.

ذاته وموضعه، وإلى جملة القصيدة في تركيبها وفي تناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور القصور و عذابة الموضوع، ومطابقة كل ذلك للحقيقة ، وشغوفه عن الشعر الحي،وتحري دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر ". [1]

وفي هذه المقدمة ثائر على عبيد الشعر، طامح إلى التجديد حيث يعبر عن تجربئة بألفاظه هو بعيدا عن الوقوع في المفردات الغريبة والأساليب الصاخبة ، و يقول أنه لن يأخذ بمبدأ وحدة البيت الذي يك القصيدة وهو بهذا يحاول أن يتخلص من سلطان القصيدة الكلاسيكية.

كذلك استحداثه للشعر القصصي كنوع أدبي وكان ديوانه الأول يضم عددا من أشهر قصائده القصصية، وذلك ليعبر به عن أفكاره الخاصة عن المجتمع والحية والطغيان، أو ليروي قصة حبه المأسوية ، ففي قصائده مثلا "مقتل بزر جمهر" و "نيرون" تمتليء بالمعاني الاجتماعية والسياسية ذات الطبيعة الثورية. البالغة ، [2] يقول :

ما كان كسرى إذ طغى في قومه * * * إلا لما خلفوا له فعالا

لكن خفض الأكثرين جناحهم * * * رفع الملوك وسود الأبطالا.

وفي قصيدته "الأسد الباكي" نجدها لا تقل حداثة وتجديدا ، وأبيت ما فيها أنها تعبر عن إحساسا ذاتي شعوري ووجداني عميق لا يحتمل التنوع بل هو نوع واحد من إحساس هو الألم الذي يكاد يبلغ الذوة وذلك من خلال الأبيات الأخية من قصيدته :

أنا الأسد الباكي يبعد مزافري * * * أنا الألم الداجـــي ولم يجب

أنا الأسد الباكي، أنا جبل الأسى * * * أنا الرمس يمشي داميا نبراس فوق أرماس [3]

استخدم خليل ألفاظ مهجورة "كالنبراس " و "الأمراس" فوجدناها، في شعره يتوحد بها للألم توحدا، وهذا ما نجده في أشعاره الرومانسية، إذ يعتز بتكراره للحزن والألم ويراهما الطريقة الأمثل للسعادة .

وكذلك من أبرز مظاهره العناية بالقصة الشعرية المستمدة من التاريخ القديم، مما أطلق على بعضه اسم الملاحم مثل "مقتل بزر جمهر" و "سيخ آثنية" وملحمة "نيرون" بالإضافة إلى هذه العناصر التجديدية في مفهوم الشعر، وغاياته وأساليبه وبخاصة في معنى الصورة الشعرية ووحدة القصيدة [4]

1 – محمد حسين علي – الأدب العربي الحديث – الرؤية والتشكيل، دار الوفاء، الإسكندرية د.ط ص 74.

2 – سلمى الخضراء الجيوسي– الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ص 93.

3 – جمال الدين الرمادي – خليل النبيل وشاعر الشرق – دا القومية للطباعة والنشر مصر د–. ط ص 21.

4– حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث – دار الشروق ، القاهرة ، مصر، الطبعة الأولى 2007، ص 198.

وإن أحد إنجازات مطران التى غدت عنصرا ثابتا في الشعر الحديث هو وحدة القصيدة ،ففي وقت مبكر من حياته بدأ مطران يهاجم افتقار القصيدة التقليدية إلى الوحدة و قد استطاع في بعض أشعاره القصصية أن يبلغ وحدة عضوية حيث تتلاحق الأحداث في القصيدة حتى تبلغ الذروة ، ولكن في بقية شعره نجح ببلوغ وحدة الموضوع وحسب، والقدرة على أن يحافظ على تواصل متناسق في الفكرة والشعور. [1]

وقد اختلف مطران عن شوقي وحافظ في أنه تخطى حدود الواقعي إلى مجالات الخيال الواسعة، فروي حكايات خيالية في شكل قصصي، وهكذا استطاع بلوغ أمرين في الوقت نفسه أن يتحدث عن وقائع خيالية وأن يكون ذلك في شكل قصة، لا كما فعل معاصروه الآخرون من أصحاب الكلاسيكية المحدثة، في شكل أخبار مثيرة، ولكن محاولة مطران كانت فريدة بين معاصريه في مصر، وقد استطاع أن يمهد الطريق نحو تغير هادئ من نوع الشعر الموضوعي الخيالي الذي كان يكتبه هو إلى شعر ذاتي كثير الاعتماد على العنصر الخيالي ويمكننا القول أن هذا الشاعر هو الذي وضع الأساس لكثير من الشعر القائم على الخيال في حقبة العشرينات والثلاثينات من هذا القرن. [2]

وكان من التجديدات التي أدخلها تقع في فن الوصف وفي الصور الشعرية ، ويقول الدكتور مندور عن ذلك : " وتجديد مطران الشعري لا يقف عند التجديد في شكل القصيدة العام بتحقيق الوحدة العضوية لها ، بل يمتد هذا التجديد إلى ديباجة الشعر ذاتها وموسيقاه، فهو في الوصف مثلا يمكن القول بأنه رائد ما نستطيع أن نسميه في شعرنا العربي الحديث بالوصف الوجداني، أي الوصف الذي يختلط فيه الشاعر بالطبيعة، وينقل إليها أحاسيسه و ألوان نفسه كما يتلقى عنها كل ما يواتي حالته النفسية الراهنة، على نحو ما نحس في وجدانياته الوصفية مثل قصيدة "آلمكس" وقصيدة "الأسد الباكي" التي تختلط فيها مشاعره بمشاهد الطبيعة من حوله وتتجاوب معها ". [3]

2- الإيقاع :

هذا اللون من التجديد لم يدع في شعرنا الحديث إلا على يد شعراء الرومانسية الذين كانوا على تعدد مشاربهم واتجاهاتهم أكثر انفتاحا من غيرهم على الثقافة الغربية، وأكثر تأثرا بآداب الغربيين، على نحو ما يبدو بوضوح شديد في إنتاج "مطران" منذ بواكير أعماله التي ظهرت في ديوانه الأول سنة 1908.

1 – سلمى الخضراء الجيوسي– الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ص 96.

2 – سلمى الخضراء الجيوسي– الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ص 93.

3 – جحا ميشال – خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث ص 231 – 232.

يقول خليل مطران : " إن الفن ينضج في جو من الحرية وهذه القيود الثقيلة ، قيود القافية الواحدة والوزن الواحد تتعارض مع حرية الفن ، على أن للقدامى طريقتهم فما لنا لا نحاول أن تكون لنا طريقتنا ، هناك أكثر من طريقة واحدة والذهن البشري لا يعجز عن الابتكار وظاهرة أن أسلوب الشاعر لا يتأثر بالوزن والقافية ، ومن هنا تجد التجديد الذي أنشده لن يكون كاملا في أسلوبه، غير أنني سأجتهد وسع الطاقة في أن أدخل في القديم ما يلحقه بالجديد ، وتلك آخر التجارب التى أعالجها من هذا القبيل وعندئذ سأضع التجديد في الوزن والقافية " [1]

في هذه المقولة ، يدعو خليل مطران إلى أن نظم الفن، وبصورة خاصة الشعر لا بد أن يكون في جو من الحرية ، وذلك بالتخلص من قيود القافية والوزن الواحد والتجديد في الوقت نفسه وهذا لإعطاء شعر جيد.

فلم يقتصر مطران على استخدام الأوزان الموروثة في صورتها التقليدية ، بل تراه يحاول تطوير بعض هذه الصور ، فيكتب إحدى قصائده على وزن يتكون شطره من أربع تفعيلات من "فاعلاتن" وكأنه يقدم له "الرمل" في صورة ثمانية لم نقف عليها من قبل ، وهو ما نجده في ذلك النشيد الذي طلب منه أحد الملحنين الفرنسيين أن ينظمه متوافقا مع أحد ألحانه يقول مطران: [2]

أبشري يا مصر أم المجد من أقصى الحقب

برجال اليوم من أبنائك الغر النجب.

أَبْشِرِي يَا	مِصْرُ أَمْمَ	لَمَجْدِ مَنْ أَقْصَلْحِقَبْ
0/0//0/	/0/ /0/0/	0/ 0/ /0/ 0/ 0/ 0//0/
فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن فعلن

بِرِجَالِ لْيَوْمِ	مِنْ أَبْنَائِكِ	لَغَرْر نُنْجِبُ
0/0///	/0/0//0/	0/ 0/0// /0// 0//0/
فعلاتن	فاعلاتن	فاعلات فاعلن

– وهو أحيانا يقدم لنا قصائد يختلف وزن شطرها الأول عن وزن شطرها الثاني يقول :

من بقايا الشباب في وادي * * * قلبـي المستكين

1 – جحا ميشال – خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث ص 91.

2 – محمد مصطفى أبو لشوارب إيقاع الشعر العربي تطوره وتجديده – جامعة الإسكندرية الطبعة الأولى 2005 ص 87.

زهرة في شحوبها العادي * * * ظمأ مـن سنين

لبثت وهي آخر الزهر * * * في رياض الهوى

فالشطر الأول هذه الأبيات من وزن الخفيف "فاعلاتن" "مستفعلن" "فاعلاتن" على حين جاء الشطر الثاني في البيتين الأوليين على وزن فاعلان فاعلان وجاء الشطر الثاني في البيت الثالث على وزن "فاعلن فاعلن" [1]

ففي مقدمته لقصيدته الطويلة "نيرون" قال إنه كتبها ليرى مدى قدرة الشاعر على كتابة قصيدة طويلة بقافية واحدة عن موضوع موحد يقول : " أنه بعد أن أنجز هذا.... بينت عندئذ لإخواني من الناطقيين بالضاد ضرورة نهج مناهج أخرى المجاراة الاسم الغربية، في ما انتهى إليه رقيها شعرا وبيانا " [2]

ولم يقف مطران عند هذا الحد بل قدم لنا في بعض الأحيان قصائد مرتكزة على غير بحر ، بحيث تصبح القصيدة الواحدة مؤلفة من أبحر متعدد ، على نحو ما نجده في قصيدته "نفحة الزهر" يقول: [3]

باسم المليكة في الأزاهر * * * ذات الجلاله والبهاء

يهدي إليك بيان شاعر * * * أذكى التهاني والدعاء

والقصيدة كما نرى تبدأ ببيتين من وزن مجزوء "الكامل المرفل" : "متفاعلن متفاعلن"

وعمد مطران في قصائده التي تشتمل على عناصر درامية حيث يدور فيها حوار بين الأشياء أو الأشخاص إلى استخدام قافيتين وبحرين متمايزين بالإضافة إلى استخدام الأشكال المقطعية ومن أمثلة ذلك قصيدة "قضية" إذ جاء الجزء الأول منها على بحر "الخفيف" بقافية،والثاني عل بحر "المقتضب" بقافية أخرى وتنقسم قصيدة "نفحة الزهر" إلى خمسة أجزاء تشتمل في مجموعها على ثلاثة نماذج شعرية فتبدأ افتتاحيتها برباعية على نظام أب أب من مجزوء الكامل ويتكون الجزء الثاني من اثنين وعشرين بيتا بقافية موحدة من بحر الكامل متساوية المصاريع والجزء الثالث من عشرة أبيات تم توزيع التفعيلات فيها بطريقة معينة ثم يعود مطران مرة أخرى في الجزء الرابع إلى ما كان عليه الأمر في الزاء الثاني أي إلى القافية الموحدة وبحر الرمل. [4]

1- – محمد مصطفى أبو الشوارب إيقاع الشعر العربي تطوره وتجديده ص 88.

2 – سلمى الخضراء الجيوسي– الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ص 95.

3 – محمد مصطفى أبو الشوارب إيقاع الشعر العربي تطوره وتجديده ص 88 .

4 – موريس الشعر العربي الحديث 1800 – 1970 – تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي ص 97.

أما في قصيدته "طفلان" فقد مزج مطران بين تعدد الوزن و تعدد القافية والقصيدة تنقسم على ثلاثة أجزاء ينوع الشاعر في أولها قوافي أبياتها ويسوقها على وزن "الرمل" "فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن" يقول فيها :

وداع على قلبي يقر قضاؤه * * * وما أنا إلا للمنى بمودع

ثم يختتم الشاعر القصيدة بأبيات على وزن الكامل يقول :

وطني العزيز لقد عهدتك قبلها * * * أمن لنا ومخافة للعادي [1]

ولا شك في أن هذه النزعة التنويعية التي تبدو واضحة في استعمال مطران للقوافي إنما ترجع في غالب الظن إلى تأثره بفن التوشيح الذي نظم مطران على غراره قصيدته "الوردتان" .

❖ لقد شق مطران الطريق إلى عدة وجوه من التجديد وكانت أعظم مساهمة له في الشعر العربي وأكثرها نزوعا للتجديد قد تمت في بداية مسيرته الشعرية وتظل مكانته في تاريخ الشعر العربي مكانة شاعر بشر بوعي جديد ومن الإنصاف أن نعترف لمطران بخروجه من الشعر العربي من مجاله الضعيف وفلكه المحدود الذي ظل يدور فيه منذ أول نشأته يتناول مفاهيم جديدة ويعبر عن فكرة راقية ، ويتناول مواضيع تتعدى حدود الزمان والمكان ، وذلك واضح في قصائده الشهيرة : المساء ، والجنين الشهيد ، والأسد الباكي [2]

وفي الأخير نستخلص أن التطور الذي أحدثه مطران في القصيدة العربية هي:

❖ أصبحت القصيدة شعورية ذاتية صادقة .

❖ الاعتماد على الخيال

❖ الوحدة العضوية مع ترابط الأفكار

❖ الاهتمام باللغة وحيوية الألفاظ والارتباط بوحدة الوزن والقافية مع إدخال بعض التجديد فيها.

❖ حرصه على فصاحة الألفاظ وبعدها عن الغرابة.

1 – محمد مصطفى أبو لشوارب ايقاع الشعر العربي تطوره وتجديده ص 90 –91

2 – جحا ميشال – خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث ص 93.

الفصل الثالث

التجديد من خلال قصيدة المساء

I- التجديد على مستوى المضمون.

II- التجديد على مستوى الصورة الشعرية.

III-التجديد على مستوى الإيقاع .

المساء:

داءٌ ألَمَّ فخِلتُ فيه شِفائـي من صَبوتِي فتضاعفَتْ بُرحَائِي
يا للضَّعيفين ! استبدَا بـي وما في الظُّلمِ مثلُ تحكُّمِ الضّعفاءِ
قلبٌ آذابتهُ الصَّبابَةُ و الجَوَى وغِـلاَلَةُ رَثَّتْ مِنْ الأَدواءِ
والروحُ بينهما نسيمُ تَـنهُدٍ في حالي التَّصويبُ والصعداءِ
والعقلُ كالمصباحِ يغشى نُـورهُ كَدَرِى ويُضْعِفُهُ تَضُوبُ دمائي

* * *

هذا الـذي أبقَيتُهُ يا مُنيتِي من أضْلُعِي وحشاشتي وذَكائي
عُمرينِ فيكِ أضعتُ لو أنْصَفتنِي لم يجْـدُرَا بتأسُّفِي وبكائي
عَمرَ الفتى الفاني وعَمـرَ مخلَّدٍ ببيانِهِ لـولاكِ في الأحياء
فَغَدوتُ لم أنْعَمْ كذي جهل ولم أغنَمْ كذي عقلٍ ضمانَ بقاءِ

* * *

يا كوكبًا من يهتدي بضيائِهِ يُهديـهِ طالعُ ضِلَّةٍ ورِياءِ
يَا موردًا يسقي الورودَ سرابُهُ ظمأ إلـى أن يُهلِكُوا بِظَمَاءِ
يا زهرةَ تُحيي رواعَي حُسنِهَا وتُميتُ ناشِقهَا بـلا إرْعَاءِ
هذا عِتابُكَ غير أنِي مُخطِـىءُ أيَرامُ سَعْدُ في هَوى حسناءِ؟
حاشاك بل كُتبَ الشَّقَاءُ على الورى والحبُّ لم يبرحْ أحبَّ شقاءِ
نعم الضَلالةُ حيثُ تُؤنِسُ مقلتي أنوارُ تِلكَ الطلعةِ الزهراءِ
نِعْمَ الشِفَـاءُ إذا رويتُ برشفةٍ مكذوبةٍ من وهمِ ذاك المـاءِ
نِعْمَ الحياةُ إذا قُضِـيتْ بِنَشْقةٍ من طيبِ تلك الروضةِ الغناءِ

* * *

إنّي أقمتُ على التَّعِلَّةِ بالمنـى في غربة قالوا: تكونُ دوائي
إن يشفِ هذا طيب هـوائها أيَلطَّفُ النيرانَ طيب هواءِ؟
أو يُمْسِك الحوباءَ حُسنُ مقامِها هل مسكةُ في البعدِ للحوبَاءِ؟
عبثُ طوافِي في البلاد وعِـلَّةُ في عِلّةِ منفاي لاسْتشفـاءِ
مُتَفَرّدِ بصبابتي ، مُتفَـرد بكآبتي، متفـرد بعنائي
شاكٍ إلى البحرِ اضطراب خواطر فيُجيبُني برياحِهِ الهـوجاءِ
ثاوٍ على صخرٍ أصمَّ وليتَ لـي قلبًا كهذي الصخرةِ الصَّمَّـاءِ
يَنْتَابُهَا موجُ كموج مكـارِهي ويَفُتَهَا كالسُّقْمِ في أعضـائي
والبحرُ خفَّاقُ الجوانبِ ضـائق كمدًا كصدري ساعة الإمساءِ

تغشى البريّة كـدُرَةُ وكأنها صَعِدتْ إلى عَيْني من أحشائيِ
والأفقِ معتكرِ قريحُ جفنْـه يَعْضِـي على الغَمَراتِ والأقذاءِ

* * *

ياللغُرُوبِ ومابهِ مـن عَبْرَةٍ للمُسْتهَامِ !وعِبْـرَةٍ للرائي !!
أوليسَ نزعًا للنَّهارِ وصـرْعَةٍ للشِّمسِ بينَ مآتمِ الأضـواءِ؟
أوليس طمسًا لليقيـن ومبعثًا للشَّكَ بين غلائـل الظَّلماء ؟
أو ليسَ محوًا للوجود إلى مـدىَ وإبادةً لمعالم الأشيـاءِ؟
حتى يكونَ النَورُ تجـديدًا لها ويكون شِبْهَ البعثِ عَوُدُ ذُكاءِ

* * *

ولقـد ذكرتُكِ والنَّهارُ مودَّعُ والقلبُ بينَ مَهَابَةٍ ورجـاءِ
وخواطري تبدو تُجَاهَ نواظري كَلْمَى كدامية السَحاب إزائـي
والدمعْ من جفني يسيلُ مُشَعْشِعاً بسنى الشَعاعِ الغاربِ المترابي
والشمسُ في شفقٍ يسيلُ نُضَارُهُ فوق العميق على ذَرىَ سوداءِ
مرَّتْ خلالَ غمامتينِ تحدُّراً وتقطَّرَتْ كالدمعةِ الحمراءِ
فكأنُ آخر دمعةٍ للكونِ قـد مُزِجَتْ بآخر أدْمُعِي لرثائي
وكأنَني آنستُ يومي زائـلاً فرأيتْ في المرآةِ كيف مسائي[1]

1 – الديوان ، ج1، ص 17–18–19.

شرح الكلمات:

داء = مرض

الصبوة = شدة الشوق

تضاعفت برحائي = ازدادت ألامي

تحكم الضعفاء =يحدث هذا التحكم لشعور مولاء الضعفاء بعقدة تقصهم فيحاولون التعويض المستند عنها

الصبابة = الحب الشديد

الجوى = ألم البعد

الغلالة = هي أصلا الثوب الرقيق وتغي هنا الجسم

التنهد = أنفاس الألم

التصويب = الشهيق الصعداء = الزفير

بها الكدر = ما يخالط النفس من الخزن

دوائي = يعني هنا راحتي وشفائي

النيران = مفردها نار وتعني هنا الألام الشديدة

التعلة = هيا من تعلل = أي التنمي

يمسك الحوباء = يحفظ الروح

مسكة =من امسك يمنع عن الرحيل

علة = مرض

ثاو = جالس أو مقيم

ينتابها = يطالها المرة تلو المرة

عمدا= الأسى الدفين

البرية = الفضاء أو الكون

الاقداء = مفردها قدى بمعنى الألم

النزع = الاختصار

المأتم= كان يعني التجمع في أي حال و يعني التجمع في حال الحزن

غمائل = مفردها غلالة

غطاء = غشاء

المهابة = الخشية الرهبة

الشفق= احمرار الأفق عند الغروب

مشعشع= ممزوج بالنور الخفيف

كلمى = جريحة

ملمسا = محوا

اياده = إفناء

المعالم = الرسوم

الأحشاء = القلب أو الأعماق. [1]

1 – كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، ج 2، دار الكتب الحديثة ، لبنان، ط 1، 2003، ص 220.

- **تعريف القصيدة=**

قصيدة المساء هي بدون شك رائعة ، ففي هذه القصيدة تبدوا رمنسية مطران أجلى وأرقى ما تكون ، وهي القصيدة التي نظمها في الإسكندرية وهو عليل .

كتب في نوفمبر 1902 م مقال عنوانه "رحلة صيف " تستطيع أن نستدل منه على الظروف التي نظم فيها قصيدة المساء ، قال ذهبت إلى الإسكندرية، وتقديري أن أقضي ثمة يومين وفي تقدير الله أن أقضي شهرين فما هو إلاّ أن خلت ليلة حتى باغتني داء ، فضرب و أثقل ثم تمكن فأعضل، ثم أناخ يكلل فلما صحوت بعد أيام من سكوته ونجوت من مضطرب عمرته نهضت بقية الجسم الباقية ، كما تلبس الخلقة البالية قال الطبيب : " فعليك بالمكس حسن هوائها وجل رواؤها فقصدت المكس و ما أدراك ما هي عليه الآن ، و نثر بصفة الطبيعة بالمكس :" والبحر شديد الحقوق لا يمل من مداعبه السخور يمثل خشونة الضواري في تداعبها ، المنظر على الجملة بديع في مغربها ، والشمس فيها تجليات باهرة خلال الغمام ، و للغمام شكل و تلون فاتنان، وللأفق تألق عجيب في ترتيب فذ للمنطقة التي يتخدم بها و إبرازها في أبدع زينة" [1]

وعن المساء يقول مندور "هذه القصيدة وجدانية قوية ، ولكن وجدانية خليل مطران تغاير ما ألفه الشاعر العربي في وجدانياته و ذلك لأنها مركبة ، و تصدر عن عاطفة موحدة تنبثق من القلب مباشرة ، بل تمتزج بالخيال الشعري ، و يسيطر الفكر على صياغتها " [2]

I – التجديد على مستوى المضمون :

كان تجديد خليل مطران واضحا في قصيدة المساء ، ففيها يمزج مزجا جيدا بين شعوره وبين ما يراه الرائي في الطبيعة والكون فان رأى الطبيعة صفراء وجدها ممتعة اللون تأثرا بأحواله النفسية وأحزانه، ويظهر مزجه بين الحب و الطبيعة في مواضع كثيرة من شعره وذلك في قصيدته المساء التي صور لنا فيها تلك التجربة الإنسانية العميقة ، المتعلقة بفشله في الحب ، و قد ترتب على ذلك مرض و ضعف وألم ، ثم استمع إلى نصيحة الأطباء و سافر ليستشفي بمصيف " المكس " بالإسكندرية و لكن هيهات أن يشفي مذب الحب ، ومطران في قصيدته ينطق الطبيعة و يشخصها ، و يصبغ عليها الصفات الإنسانية ، و استطاع الشاعر أن يفرغ ما في قلبه من حزن و أسى داخل كؤوس الطبيعية مما جعلها تحس به ، وتتفاعل مع شاعره و يبدو عليه الحزن و الأسى كما بدا عند الشاعر . [3]

---

1 – أحمد زلط ، الأدب العربي الحديث ، دار الوفاء الإسكندرية ، د ط ، ص 75 – 76 .

2 – جحا ميشال ، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص 112 .

3 – أحمد عوين ، الطبيعة الرومنسية ، في الشعر العربي الحديث ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، ط 1 ، 2001 م ، ص 70 .

وكل هذا يحيلنا إلى الحديث عن القصيدة " المساء" والجديد الذي آتى به مطران في ما يتعلق بالمضامين .

لقد امتد تجديد مطران في كثير من الأحيان في المضمون فيمكن القول انه رائد ما نستطيع تسميته في شعرنا العربي الحديث ، فتجديده في جوهر الشعر العربي ذاته أكسه نظرة لا نجدها عند أنصار المذهب التقليدي الذي عاصروه .

أما عن الموضوعات التي تناولها مطران في قصيدته المساء فقد لمحنا من خلال دراستنا لها أن يغلب عليها كالصيابة والكأبة والحزن و القلق، وهذا يدل على انبعاث عاطفة الشاعر و تفجيرها أروع تفجير .

ولكن المعاودة التي فطر عليها الشاعر لا تلبث أن تسلط العقل على هذه العاطفة فيكبح جمادها، ذلك لأن الشاعر لا يترك لا عاطفة وخياله العنان، فهو لا يريد أن يعرف القارئ بألمه و يأسه فيلتفت إلى حبيبته التي كانت قد فارقته إلى الأبد .[1]

فلقد سادت نزعة الحرمان والندم والحزن والكآبة والألم، والحديث عن الموت والعناء والعدم لدى الشعراء الرومانسيين الغربيين وغيرها من ألوان التشاؤم والقلق والحيرة إذ يقول الأديب الفرنسي" اسكندر ديماس" :" الدموع ضرورية الفرد "، وهذا يدل دلالة واضحة أن مطران قد تأثر بهؤلاء الشعراء العرب، واستمد منهم هذه الصفة وهيا صفة الألم[2]

أما الموضوع الثاني الذي تحدث عنه "مطران" فتمثل في الطبيعة وهي خاصية الثانية التي تميز بها شعراء الغرب الرومنسيين، إذ أن الحياة في عصر الرومانسية كانت قاسية فلم يجد الشعراء عزاءهم وسلواهم إلاّ في رحاب الطبيعة .[3]

ليكون الشاعر بذلك قد خاض في موضوع وجداني ذاتي يصور فيه حقيقة حزنه وإضطراب نفسيته، وذلك باشراك عناصر الطبيعة وهذا مملح من ملامح القصيدة الرومانسية.

وهذا يؤكد على عطاء شعره الجديد وعمق وجدانية، وأصالة رومانتيكية، وحقيقة تجديده في معانيه، وصوره وعباراته ودلالاته، ليكون في صميم ما هدف إليه من التجديد في شعره و تضل قصيدة المساء واحدة من لوحات مطران الفنية الخالدة وما هي تصغر أو تضعف حيال مثيلاتها في غير الأدب العربي كألادبين الفرنسي والانجليزي ، وبصورة خاصة في المجال الرومانسي .[4]

---

1 – ينظر ، جحا ميشال ، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص 110 – 111 .

2 – أنس نشاوي ، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د ط ، 1984 م، ص 241 .

3 – جحا ميشال ، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص 113 .

4 – ينظر : كاظم حطيط ، أعلام و رواد الأدب العربي ، ص 224 .

لقد وفق مطران في هذا المزج بما وهب من دقة الحسن وبعد الخيال و سرعة التأثر وكانت نظراته إلى الطبيعة من هذا الدرب الحي المتموج المتحرك، ولعل سر اهتمام مطران بالطبيعة يرجع إلى أنها ظاهرة مادية محسوسة والطبيعة عند "مطران" معرض واسع من معارض الحب و الغزل، و فيها شاركة يحس فيها الإنسان انه يجلس إلى شخص أخر يناجية و يشاركه فتزول عنه الوحدة التي يكابدها وتذهب الوحشة التي يعانيها [1]

و في الأخير نستخلص أن الرجوع إلى الطبيعة كانت نتيجة أمرين رئيسين :أولا دعوة "روسو " إلى العودة إلى الطبيعة ، و ثانيا الأخذ بفكرة الحلول في الوجود بحلول الله في الطبيعة التي جاء بها" سبينوزا" ، ففي اللجوء إلى الطبيعة سلام وطمأنينة و بساطة و هرب من المجتمع الفاسد و الطبيعة مجال رحب للخيال و التأمل .[2]

أما المضمون الثالث أو الموضوع الذي استنتجتاه من هذه القصيدة هو موضوع" المرأة" لقد تحدث النقاد عن قصت الحب التي عاشها "خليل مطران" في أيام شبابه في أكثر من موضوع وما لهذه الحادثة من اثر في شعره و خاصته أنها انتهت بموت المحبوبة بعد مرض ألم بها هذا ما جعله وفيا لها إلى الأبد و يتؤنم لها بقوله:

أحبكِ حتى لا سرُورَ و لا مُنَى *** ولا شَمسَ إلاّ أن أراكِ و نجماَ

أحبك حتى ينكر الحب رسله *** جميلا وقبيحا والأتي استشهدوا قدماَ

إذ نجد أن الحديث عن الحب و المرأة كان منذ القديم ، حيث كان الشعراء القدامى أمثال امرئ القيس وعنترة وغيرهم يتغزلون بمحبوباتهم ، و ذلك ممن خلال الوقوف على الأطلال و ذكر الديار والأماكن ، الخالية التي تبقى راسخة في الأذهان ، إلاّ أن "مطران" الذي يعد رائد المدرسة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ، نجد أن صياغته للمرأة أو المحبوبة من خلال قصيدة "المساء" ، قد صاغها بطريقة فذة و فنية و تصويرية ذات تشبيهات بليغة، حيث انه مزجها بمظاهر الطبيعة كما أن الشوق و الحنين و البعد و الفراق هيا من سمات الشعراء الرومانسيين الذين تأثر بهم "خليل مطران" ، و لكنه أعاد صياغة أفكارهم وأساليبهم بطريقة خاصة، ليضفي على قصيدته الفرادة و ليزداد حب القراء لقصائده وتمسكهم بأشعاره إذ أن " مطران" عاش حرقة الشوق و البعد و الحنين إلى محبوبته ، ولم يجد إلا الطبيعة التي ربطها بالمرأة فهيا الكوكب الذي يهتدي إلى الضياء هو الجديد الذي أتى به "مطران " في ما يخص حديثه عن المرأة و التي أضفت عليها جوا رمنسيا متميزا بتطوراتها المتميزة و المتفردة .[3]

---

1 – جمال الدين الرمادي ، خليل النبل و شاعر الشرق العربي ، ص 56 .

2 – جحا ميشال ، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص 111 .

3 – ينظر : أبو عوض أحمد الفاري عبد اللطيف ، الحركات الفكرية و الأدبية في العالم العربي الحديث ، د ط د ت ، ص 340 .

تبقى المرأة مصدر الهام الشاعر ويبقى الحب وجدانية صادقة يسمو بأنفسنا إلى التجارب الصادقة . فالمرأة هي المنبع الذي تسعى منه الورود و هي الزهرة التي تحيا من يشتنشق عطرها .

II - التجديد على مستوى الصورة الشعرية :

قبل التطرق إلى الجديد الذي أتى به "مطران" في ما يحض الصورة الشعرية لا بد من معرفة مفهوم الصورة الشعرية : "إنها إعادة إنتاج عقلية تقوم بها الذاكرة باستدعائها لتجربة إدراكية أو عاطفية ماضية كما أنها احد العنصريين الأساسين في عملية الشعر وهي العنصر الأبرز في لغة الشعر، و الفاعلة في التحولات التي عرفتها القصيدة العربية منذ بداية النهضة العربية ، و بها يتعلق نجاح أو رسوب الشاعر، والصورة الشعرية تتطلب من الشاعر الموهبة و التجربة و الدأب و الإرادة و الثراء المعرفي ، القادر على نفاذ الذات و اللغة و الفكر" [1]

و السؤال الذي نطرحه: كيف وعي "خليل مطران" ماهية الصورة الشعرية وكيفية توظيفها ؟

"حاول خليل مطران" أن يضيف إلى الخيال الشعري بعدا جديد ، يأخذ وحيه من الشعر الرومانسية الغربي ، فلم يعد مطران يصف الأشياء محتفظا بمسافة بينه وبينها مركزا على الأبعاد الخارجية للصورة بل أن الشاعر أصبح يحل في الأشياء كما أن الأشياء تحل فيه ، ففي قصيدة "المساء" تبدو رومانسية "مطران" واضحة وتظهر براعته في الوصف والتصوير الشعري و صياغة اللغة الشعرية و كذلك الكثافة اللغوية .

– و قد غلق الشاعر مطران عالمة التصوير باستحضار مكونات الطبيعية الصامتة فحاول تصوير مشاعر و أحاسيسه الحزينة و المليئة بالكآبة بصورة شعرية في غاية الرومانسية و قد خاض بذلك في موضوع وجداني ذاتي صور فيه حقيقة حزنه واضطراب نفسيه باشتراك عناصر الطبيعية و اعتمد بذلك على مكونات الخيال لغابات تعبيرية ذاتية ولخلق نوع من التجاوب والتلاءم بين الطبيعة و الإنسان فالشاعر جمع بين التصوير الكلي القائم على الصوت و اللون و الحركة و الخيال الجزئي من تشبيه و استعارة و كناية و معظمها صورة جديدة تعمد على التشخيص .

في البداية صور لنا الشاعر عن مرض ألم بجسده و قلبه، و هذا بسبب شوقه و حنينه إلى محبوبته ، فظن أن المرض الجسدي الذي أصابه سينسيه بعض ذلك الشوق ، و بعض ذلك تلك الآلام التي يشعر بها، لكن شيئا من ذلك لم يتحقق، فقرر الرحيل واتجه صوب البحر ليفرغ فيه أحزانه و همومه، و الألم على العموم سمة تميز بها الشعراء الرومانسيين في الغرب ، و لذلك نجد" خليل مطران" تأثر بهذه السمة ووظفها في قصيدته هاته .

و تبقى معاناة "مطران" في قصيدته مستمرة ، خاصة معاناة الجسد والقلب والتي سماها ب" الضعيفين"، واعتبرهما علتين تحكمتا به ، كما صور لنا حالة روحه التي لقيت صعوبة في

1– ينظر : محمد بن عبد الحي ، التنظير النقدي و الممارسة الإبداعية ، دراسة لأعمال ستة نقاد ، الناشر منشأ المعارف بالإسكندرية ، جلال حزي و شركاه ، ص 150– 151 .

التنفس، وهذه صورة تحيل إلى اختناق الشاعر بسبب كثرة أحزانه وهمومه وكذلك عقله التي طمسته كدرة النفس .

ثم بعد ذلك انتقل الشاعر إلى وصف محبوبته، وأراد أن يكون وصفه جدي على غرار ما ألفناه في القصائد العربية القديمة ، فقد وصفه الشاعر العمرين الذين عنذباه في سبيل المحبوبة إذ يقول : "إنها لم تكن عادلة في حقه " ، و هما : عمر الفناء بالفراق، و عمر الآبد المخلد بلقياها في الهناء، ثم صاغ تجربة بطريقة متنكرة ، و هي نعم الجاهل تدل على الشقاوة واستمد "خليل مطران" هذه الصورة من قول الشاعر "المتبني " :

ذو العقل يشفى في النعيم بعقله *** و أخو الجهالة في الشقاوة ينعم [1]

والمتلبس في شقاوته هو محبوبته ، و قد صاغها في صور بيانية كثيرة و متنوعة فالصورة الأولى لمحبوبته كوكب يهتدي به ، ثم يجعلها مورد تسقى الظمأ ، ثم في الأخير جعلها زهرة ناضرة الجمال .

ففي مجال الخيال فلقد استخدم الشاعر عدد من الصور البيانية ، و قد كان حددها في تشخيص عناصر الطبيعة ، و تمازج بها ، فبدت صورة من ألمه، و حزنه، و هي تتألف جميعها لتعبر عن وجود النفس المسيطرة على القصيدة و هذه الصور تتمثل في :

1-الاستعارة :

تعرف الاستعارة على أنها صيغة بلاغية تقوم على طرفين عاملين ، تكون فيها "المقارنة متضمنة في بنية الصورة الفعلية " ، و هي تستعمل لإضفاء زينة أو حيوية أو توضيح معنى، أو إضفاء نوع من الغموض اللطيف ، ويعبر عن علاقة الاستعارة بكلمات مثل مطابقة ومقارنة ودمج .

يقول جورج والي : " الاستعارة وسيلة يمكن بواسطتها دمج الشاعر من دون أن تفقد وضوحها الخاص المستقل إنها الطريقة الأساسية لتحويل المشاعر إلى كلمات ... وهي العملية التي يمكن بواسطتها إقامة العلاقات الداخلية الخاصة بالشعر" [2]

ففي بداية القصيدة يقول واصفا داءه :

داءٌ ألَمَّ فخِلتُ فيه شِفَائي *** من صَبْوَتي فتضاعفت بُرحَائَي

فهذا البيت يدخل في باب الإستعارة المكنية ، حيث شبه الداء الإنسان الذي يلم، و حذف المشبه به و هو الإنسان ، و ترك شيئا من لوازمه الألم .

أما البيت الثاني فهو إستعارة مكنية و ذلك في قوله :

---

1 – إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، ص 85 .

2 – سلمى خضراء الجبوسي ، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ص 747 .

يا للضَّعيفين ! استبدا بي وما *** في الظُّلم مثل تحكُّم الضّعفاءِ

إذ شبه الضعيفين بالإنسان الذي يستبد، و حذف المشبه به وهو الإنسان، و ترك من لوازمه ما يدل على ذلك" استبدا ".

و كذلك تتجلى براعة " مطران" في تصوير حالته النفسية في قوله :" و غلاله " رَثّتْ " استعارة مكنية ، حيث شبه جسمه بالغلالة التي رَثّتْ ، و حذف المشبه به " الجسد " .

كما أن الجديد الذي أتى به " مطران" في ما يخض الصور الشعرية، تمثل في استخدامه للطبيعة للتعبير عن حالات نفسية تعتريه، واستطلاع الشاعر أن يمتزج بهذه الطبيعة بفضل ذلك الخيال ليرى في نفسه في مرآة تلك الطبيعة، بحيث يمكن القول بأننا نستشف في هذه القصيدة ما يصح أن نسميه " بالحلول الشعري " .[1]

فالطبيعة عند" مطران" كائن حي يتكلم ويحس، ويفكر مثلما يعاني كافة الناس و تشاركه مرضه و أحزانه ، و يتجلى ذلك في قوله :

شاكِ إلى البحر اضطراب خواطري *** فيُجيبني برياحَهِ الهوجاءِ

إذ صور لنا وقوفه على شاطئ البحر، وشكى إليه حزنه واضطراب نفسه و أفكاره فأجابه ما يدل على اضطرابه هو ، فزاد هو أيضا حيرت الشاعر وألمه حيث شخص البحر في صورة إنسان يتحاور معه ، إذ رياح هوجاء هي صورة لعواطف الشاعر المتوترة و هذه الصورة هي " استعارة مكنية " شبه البحر بالإنسان الذي يجيب ، وحذف المشبه به هو الإنسان و ترك على لازمة من لوازمه " يجيبني" .

و في البيت السادس و العشرون نجد أيضا استعارة مكنية في قوله :

والبحرُ خفاقُ الجوانبِ ضائق *** كمداً كصدري ساعة الإمساءِ

إذ صور البحر على إتساعه إنسانا حزينا ضيق الصدر، و فيها إيحاء وتشخيص بضيف نفس الشاعر ، فما يعانيه من ألم و مرض و حب وغربة و هذا امتزاج الشاعر بالطبيعة .

و هكذا يكون الشاعر قد استحضر عناصر الطبيعة " البحر، الشمس ، الكون ، الريح الصخر، البرية .... إلخ " محققا بذلك تجاوبا بين عالمه و عالمه الطبيعة و هيكلتها بمؤشرات رومانسية .

2-التشبيه :

1 – جحا ميشال ، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص 113 .

يصف ناصف مصطفى التشبيه بأنه : " المصيب المقارب للشئ المقارن ، وان في الإصابة والمقاربة ، الإيضاح و التقوية و التجديد " [1] .

أي أن التشبيه هو بمثابة مقاربة أو مقابلة وهذا التشبه من اجل الإيضاح و توجيه الفكرة.

أما إيليا الحاوي فيقول : " إن الصورة التي تقوم على التشبيه تخالف في الغالب طبيعة التجربة الشعرية ، لأن التقاط التشبيه بين ظاهرتين مختلفتين يقوم أصلا على نهج منطقي ينفذ من المقامات إلى النتائج بالتفكير و الإدراك من دون الشعور و المعاناة ".[2]

معنى هذا أن التشبيه يقوم على أسس منطقية ، و أنه يقوم على ظاهرتين لهما اختلافات متعددة بينهما .

فالحالة النفسية منهارة لدى الشاعر ساعة الإمساء ، و هذا الكمد في الساعة الإمساء تمثل في صورة جزئية من عناصر الطبيعية ، فتشبه حال النفس بحال البحر لتوضيح المعاناة و تقريبها إلى الإدراك و الإحساس بها ، و هذا في قوله :

و البحر خفَّاقُ الجوانبِ ضائق *** كمدًا كصدري ساعة الإمساء [3]

فالشعور بالطبيعة ، تماشى مع الحالة النفسية فمّنَ بنفسه جمال .

وكذلك وظف التشبيه في قوله :

ثاوٍ على صخرٍ أصمَّ وليتَ لي *** قلباً كهذي الصخرةِ الصَّمَّاءِ [4]

حيث جلس على الصخرة من صخور الشاطئ ، و تمنى أن يكون له قلبا قاسياً منزوع الأحاسيس كصلابة الصخرة ، التي تلطمها أمواج شبيهة بالشدائد و الأسقام التي فتت عوده .

ونجد التشبيه المجمل في قوله :

و الشمسُ في شفقٍ سبيلُ نَضَارُهُ *** فوقَ العقيق على ذُرى سوداءِ

مرَّتْ خلالَ غَمامتينِ تحدُّرًا *** و تقطَّرَتْ كالدمعةِ الحمراءِ [5]

حيث شبه انحدار الشمس و هي تمر بين سحابتين و صوب غروبها بسرعة إنذراف الدمعة بين جفني عينيه راسما صورة مأساوية لمّا آل إليه الكون و الشاعر ، فهو يوضح الفكرة ويوحي بحزن الشاعر ، و في ذلك إعلان عن مشاركة الطبيعة لوجدان الشاعر، فالمشبه هو الفاعل المستتر "الشمس " أمّا الأداة فهي" الكاف "" .

---

1 – سلمى الخضراء الجيوسي ، الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث ، ص 778 .

2 – سلمى الخضراء الجيوسي ، الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث ، ص 778 .

3 – الديوان ، ج 1 ، ص 18 .

4 – الديوان ، ج 1 ، ص 18 .

5 – الديوان ، ج 1 ، ص 19 .

و قوله :

فكّأنَ آخر دمعةٍ للكونِ قد *** مُزِجَتْ بآخرِ أَدْمُعِي لرثائي [1]

إذ شبه الكون على أنه إنسان يذرف آخر دمعة ، فالمشبه : آخر دمعة ، أمّا الأداة فهي "كأن" أما المشبه به فهي "مُزِجَتْ "

وفي البيت الخامس و العشرون قام بتشخيص وتجسيم هذا التشبيه بصورة رائعة تكون قريبة من القارئ في قوله :

يَتْتَابُهَا موجُ كموج مكارِهي *** و يَفُتَّهَا كالسُّقْمِ في أعضائي [2]

حيث شبه المكاره في تتابعها بموج البحر، في تتابعه على الصخور ، و بالمكاره في تتابعها على النفس .

و في قوله :

إني أقمتُ على التَّعِلَّةِ بالمنى *** في غربةٍ قالوا : تكونُ داوائي [3]

هنا تشبيه للغربة بالدواء ، و في تجسيم و إيحاء بالألم و النفور و اليأس .

و في البيت الواحد و العشرون يقول :

عَبَثُ طوافي في البلادِ و عِلَّةٌ *** في عِلَّةٌ منفايَ لاسْتِشْفَاءِ [4]

هنا تشبيه فقد جعل النفي مرض .

و في قوله :

أو ليسَ نزُعا للنَّهار وصَرْعةً *** للشَّمسَ بينَ مآتمِ الأضواءِ ؟ [5]

تشبيه للأضواء بجماعة تودع الشمس ، وفيها تشخيص و إيحاء بإستمرار كآبة الشاعر ويأسه من الوضع الذي يعيشه .

3 – الكناية :

و نجدها بصفة كثيرة في قصيدة "المساء"، و يتجلى ذلك في قوله :

---

1 – الديوان ، ج 1 ، ص 19 .

2 – الديوان ، ج 1 ، ص 18 .

3 – الديوان ، ج 1 ، ص 18 .

4 – الديوان ، ج 1 ، ص 18 .

5 – الديوان ، ج 1 ، ص 19 .

حاشاكِ بل كُتِبَ الشَّقاءُ على الورى *** و الحبُّ لم يبرحْ أحَبَّ شقاءِ [1]

وهذه كناية عن رضا الشاعر بالقدر الذي كتب له ، و الذي تمثل في معاناة الشاعر النفسية .

وكذلك قوله :

تغشى البريَةَ كدُرَة و كأنَّها *** صَعِدَتْ إلى عَيني من أحشائي [2]

كناية عن شدة حزن الشاعر، و أن الأحزان السوداء صعدت إلى عينيه و جعلته يرى كل شئ يغطيه السواد، و هنا كلمة "تغشى " توحي بالإنتشار .

ورسم الشاعر في هذه الأبيات أي صورة كلية أخرى حزينة للغروب وأثره في نفسه وأجزائه "عاشق يبكي ، و يتأمل، ونهار يستحضر، وشمس تموت ..."، وهذه كلها دلالة على نفسية الشاعر الحزينة، و معاناته وعدم استقرار نفسه وعذابات روحه .

أما من ناحية اللغة فالألفاظ منتقاة بدقة وعناية ، فهي فصيحة أصلية ، و ملائمة لموضوع الشكوى و الألم ، فهي خالية من التعقيد اللفظي و المعنوي و قد ذكر كلمة "متفرج" للدلالة على الحزن و الألم و الوحدة ، و كذلك كلمة " التعلة " التي توحي بالآمال الكاذبة " قالوا بعدها " و هي جملة معترضة تؤدي معنى " زعموا " .

بالإضافة إلى سهولتها ، يغلب عليها طابع الحزن و الاضطراب لتلاءم ما في نفس الشاعر من آلام و أحزان مثل : " شاك ، اضطراب خواطري ، ثاو ، ينتابها ، مكارهي، السقم ، ضائق ، كمدا ، كدرة "

يطالعك جو نفسي كئيب يلف الشاعر من كل جانب ، كما أن تخصيص ضيق الصدر بساعة الإمساء طبيعة بشرية منذ القدم .

أما فيها يخص العاطفة ، فلقد سيطرت على القصيدة عاطفة واحدة عي عاطفة الحزن والألم ، التي قوية عميقة محققة بذلك وحدة الجو النفسي ، والحزن يلف النص كله ومن التعسف أن تتبع ذلك بالتفصيل ، فالأبيات الأولى فهي مشاعر شكوى من المرض وأنين ثم مشاعر قلق و اضطراب ، بعد ذلك مشاعر تأمل و أسى ، وبعد ذلك فهي عواطف يأس .

ووحدة القصيدة تمكن في تناولها موضوعا واحد من بدايتها إلى نهايته مع وجود وحدة العضوية التي تعني ارتباط المعاني و الأفكار ببعضها البعض إذا حذف عنصر من عناصرها يختل المعنى و تضطرب الأفكار ،فبالنسبة لوحدة الموضوع فإن كل قصيدة من القصائد مطران الشعرية تعالج موضوعا خاصا من بدايتها إلى نهايتها والدليل على ذالك قصيدة المساء التي تغشاها كليتة تصاوير أحادية تمثل المرض الجسمي و الألم النفسي . [3]

---

1 – الديوان ، ج 1 ، ص 17 .

2 – الديوان ، ج 1 ، ص 18 .

3 – جحا ميشال ، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث ، ص 116 .

III- التجديد على مستوى الإيقاع .

إن موسيقى الشعر لا تكمن في الأوزان والألحان، أي كلامهم وأنغام فحسب، بل في انتقاء الألفاظ الرشيقة ذات الموسيقى التي تتميز بطاقاتها الشعرية، وإمكاناتها الشعرية.

والشعر قد اعتاد بالإيقاع جوهرا ثانيا منذ أقدم العصور، بل ذهب الدكتور " شوقي ضيف "إلى ارتباط شعرنا العربي بالرقص وما يصاحبه ، من قرع الأرض القدم، وربط هذا الأمر بلوازم الروي المتحددة في كل من أبيات القصيدة حتى تضفي بالنغم الموحد في قافية القصيدة. [1]

ولقد رأى أدونيس " إن دور الوزن من حيث أنه تتابع إيقاعي، في نسق معين يكمن في الإشارة الحساسية والحيوية، بالنشوة التي يولدها وإشباع رغبة الاستطلاع". [2]

والإيقاع عند ابن رشيق فهو ركن أساسي في الشعر، وخاص به " وهو يشتمل على القافية وجالب لها ضرورة ." [3].

فابن رشيق جعل من الإيقاع ركن مهم يقوم عليه الشعر، ويقوم بالدرجة الأولى على القافية..

ونحن هنا بصدد دراسة الموسيقى عند " مطران "، سنعمل على كشف الجديد الذي أتى به مطران من هذه الناحية.

إن القصيدة في الشعر ملتزمة ، كما أنها تعتمد من جهة نظمها على أصلين هما :

وحدة الوزن، ووحدة القافية، فمهما كان عددها ، يجب أن تكون كلها واحدة، في وزنها أي من جهة عدد المقاطع، والتفاعيل، فإذا بلغت تفاعيل البيت الأول ثلاثة، لابد أن تكون جميع أبيات القصيدة نفسها، وكذلك وحدة القافية، فإذا كان آخر البيت الأول من القصيدة دالا، إلتزم هذا الدال في آخر كل بيت من القصيدة [4]

إتجه المجددون وخاصة " خليل مطران " إلى شعر التفعيلة، وهذا الشعر قام على بعض الأسس، منها وحدة التفعيلة في القصيدة، ثم عدد التفعيلات في كل سطر، وحركة الروي والنظر إلى القافية دون الإلتزام بها، أما موسيقى الشعر فتخضع للحالة النفسية للشاعر. [5] .

---

1 – ينظر : أبو السعود سلامة أبو السعود ، الإيقاع في الشعر العربي الحديث ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، د ط ، ص1–2 .

2 – أدونيس ، الثابت و المتحول ، ج 1 ، ص 89 .

3 – عبد الرحمان تبرماسين ، العروض و إيقاع الشعر العربي ، دار الفجر للنشر ، 2003 ، د ط ، ص 79 .

4 – ينظر : عبد العزيز عتيق ، علم العروض و القافية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت 2001 ، د ط ، ص 22 .

5 _ ينظر : ابو السعود سلامة ابو السعود ، الايقاع في الشعر العربي الحديث ، ص 95 .

نظم الشاعر قصيدته هذه وفق البنية الإيقاعية القديمة للخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث إعتمد على إيقاع البحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، وهو وزن شعري تراثي طويل النفس،ينسجم مع طول معاناة الشاعر الذي هو ملائم لحالته النفسية والجسدية، التي تود أن تشفى من ذلك الداء ، وترى النور المشرق وتنسيه كل تلك الأحزان والهموم.

فخليل مطران لم ينوع في البحور في هذه القصيدة، بل أخذ بحرا واحدا من بداية القصيدة إلى نهايتها. وذلك حسب تقطيعنا لأبيات القصيدة، إذ وجدناها من البحر الكامل وما طرأ عليها من جوزات (الزحافات) وللتأكيد على ذلك نأخذ على سبيل المثال هاذان البيتين ،

فَغَدَوْتُ لم أَنْعَمْ كَذِي جَهْلٍ وَلَمْ أَغْنَمْ كَذِي عَقلٍ ضَمَانَ بَقَاءِ

فَغَدَوْتُ لم أَنْعَمْ كَذِي جَهْلن وَلَمْ أَغْنَمْ كَذِي عَقلن ضَمَانَ بَقَائِي

///0/ /0 /0/0 //0 /0/0 0// 0/0/ 0// 0/0/ 0/ /0/// 0/0// /0// 0/0/ 0// 0/0/ /0/0 //0 /0/ //0/0

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعل

حيث طرأت على التفيعلة الأخيرة من زحاف مفرد، الذي ينطوي تحته زحاف الكف: وهو حذف سابع جزء ساكن فأصبحت مُتَفَاعِلُنْ ⟵ مُتْفَاعِلْ.[1]

اعتمد الشاعر على القافية المطلقة، وذلك لطلاقة نفسه التي كانت تبحث عن الراحة والحرية، من خلال قوله (شفائي، حسائي، برحائي)، وهي كلها قوافي تشترك في ياء الوصل وهمزة الروي المجرور الذي ينسجم في جهره مع جهر الشاعر بذاته، وفشله العاطفي الذي تجرع مرارته.

ويمكن تحديد القافية في البيت الأول:

داءُ أَلَمَّ فَخِلْتُ فِيهِ شِفَائِي مِنْ صَبْوَتِي فَتَضَاعَفَتْ بُرَحَائِي

/0 ///0 ///0 //0/ /0/0 0/0// /0// 0/0/ /0 /0//0 ///0/ 0/0///

متفعلن متفاعلن متفاعل متفاعلن متفاعلن متفاعل

فالقافية في البيت الأول ظهرت أنها مطلقة في جزء من كلمة شفائي فحددت بـ فائي وهي قافية مطلقة

0/0/

وعند تقطيعنا لكل أبيات القصيدة اتضح لنا أنها مطلقة، لأن الشاعر كان بحاجة إلى ذلك.

أما حرف الروي متنوع من بيت لآخر، فمرة يبقى على همزة، ومرة يضيف لها الياء ذلك على حساب معنى البيت.

1- عبد الرحمن تبرماسين، العروض وإيقاع الشعر العربي، ص 29.

ومن حيث الحروف، نجد أن الشاعر قد استعمل حرف " الصاد " ثماني مرات، وهو صوت فيه صخب قوي ساعد على الانفعال.

أما الموسيقى الخفية أشد تغلغلا في النفس الإنسانية، وأصدق تعبيرا عن المشاعر الشاعر وأحاسيسه، وهي أهم بكثير من الموسيقى التي ظهر في الوزن والقافية، والموسيقا الخفية تتبع من الإنتقاء الألفاظ، ومدى ملائمتها للمعنى ومدى ما تضفيه من دلالات موحية، تتغلغل وتتناغم مع أعماق النفس الإنسانية، فهي تضفي حسن الأداء وترابط الأفكار وجمال التصوير على العمل الأدبي ، مما يصل إلى حياة القلوب. [1]

فالايقاع الداخلي تحقق بإعتماد الشاعر على التوازي النحوي الأحادي التام، على مستوى البيت حيث يقول :

متفرد بصبابتي، متفرد *** بكآبتي، متفرد بعنائي[2]

حيث نظر الشاعر نحويا بين الجمل(متفرد بصبابتي، متفرد بكآبتي، متفرد بعنائي) وأيضا نجده قد وظف التكرار اللفظي في قوله : (عبث، متفرد، عنائي) وهو تكرار خلق نغمة موسيقية، وأكد على معاناة الشاعر وتفرد بتجربته المأسوية في الحزن والآسى والألم.

بالإضافة إلى إعتماده على التكرار السجعي، المتمثل في التكرار الصامت لحرف النون بشكل يلفت الإنتباه على مستوى مطلع القصيدة، مما يعطي إنسجام وإتساق مع حزن القصيدة.

ومما يعطي إيقاعا مميزا للقصيدة هو إستعماله للمحسنات البديعية، كالطباق والجناس والسجع ونجد ذلك في " داء وشفاء " فهو طباق إيجاب ، وكذلك " شفاء وبرحائي" فهو سجع ، كما نجد المقابلة في قوله : عمر الفتى الفاني وعمر مخلد .

وكذلك في قوله :

يا زهرة تحيي رواعي حسنها *** وتميت ناشقها بلا إرعاء

والجناس التام في قوله :

يا للغروب ومابه من عَبْرَة *** للمستهام وعِبْرَة للرائـي

فعبرة الأولى هي" عبرة" للمستهام ، والثانية "عبرة" للمعتبر، وكذلك هناك جناس ناقص بين " خفاق" و" ضائق ".

بالإضافة إلى توظيفه السجع ، الذي زاد من خلال جمال القصيدة، إذ إستخدمه " مطران " ليشوق القارئ إلى معرفة سر هذا الجمال الموسيقي.

كما إعتمد على تكراره لحرف النداء في الأبيات التالية :

1- أبو السعود سلامة أبو السعود، الإيقاع في الشعر العربي، ص 103.

يا كوكبا من يهتدي بضيائه *** يهديه طالع ضلة ورياء
يا موردا يسقي الورود سرابه *** ظمأ إلى أن يهلكوا بظماء
يا زهرة تحي رواعي حسنها *** وتميت ناشقها بلا إرعاء [1]

فكل هذه النداءات غرضها الإستعطاف بالمحبوبة، والإستنجاد بها، والإيحاء بأنه ألم خاص به.

وكذلك نجد كلمة " متفرد " مكررة لتوكيد هذا الشعور بالألم واليأس الذي أصاب الشاعر.

ولفظة (أو ليس) نجدها قد تكررت ثلاثة مرات على التوالي في قوله :

أوليس نزعا للنهار وصرعة *** للشمس بين مآتم الأضواء
أوليس طمسا لليقين ومبعثا *** للشك بين غلائل الظلماء
أوليس محوا للوجود إلى *** وإبادة لمعالم الأشياء [2]

فالشاعر قد خرج بصيغة الاستفهام عن معناها الحقيقي ، إلى معنى يفهم من السياق بهدف التقرير والتعجب والاعتراف بما في الغروب من عبر، وكان استخدامه موقفا.

إن الوزن في القصيدة العربية، يصبح عديم القيمة إذا لم يكن ممزوجا بغيره من عناصر التجربة الشعرية أي أن يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بسائر مكونات الموقف والانفعال العام .

وختاما بعد هذا التحليل والتفكيك لقصيدة " المساء " ، أنها من الشعر الغنائي الذاتي ، غرضها الوصف الذي تطور في العصر الحديث، ونجزم جزما يقينا بان قصيدة " مطران " قصيدة رومانسية شكلا ومضمونا، لأن موضوعها ذاتي ووجداني،و لغتها لينة سهلة ، وصورها نابعة من عمق التجربة، كما يحضر عنصر الطبيعة فيها وتمتزج وتشخص لها، وبث الحركة والحياة فيها.

فالطبيعة كإنسان تشارك الشاعر همومه وأفراحه، على من الرغم من إيقاعها تقليد خليلي، ولتكون بذلك القصيدة ساهمت في تطور الشعر العربي الحديث، ومهدت الطريق للحركات الشعرية.

1 – الديوان، ج 1 ، ص 17.
2 – الديوان ، ج 1 ، ص 18.

خـاتمة

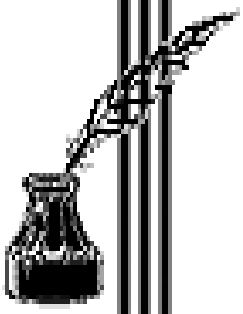

خاتمة

إن الأدب العربي الحديث قد فتح طريقة إلى ظهور حركة التجديد، من خلال اتصاله بالآداب الغربية، وقد برز من خلال ذلك مجموعة من المثقفين العرب بعد إطلاعهم على الآداب الغربية.

وإن من أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، أن "مطران" هو أحد الممهدين للتجديد، وإستطاع أن يحدث جديدا في الشعر العربي الحديث. بالرغم من أنه لم يكن ثائرا على القديم إلا أنه أراد إضفاء حلة جدبدة، ومعاني وألفاظ وأفكار جديدة تلاءم عصره فمطران جدد في بعض النواحي الشعر ولم يجدد في الشعر تجديدا جذريا كاملا، ولا بد أن نعترف بأن "مطران" أخرج الشعر العربي من مجاله الضيق وفلكه المحدود، الذي ظل يدور فيه منذ أول نشأته،وجعله يظل على مدى أرحب، ويشرف على مناخات أجد، فلم يعد الشعر كل الشعر عنده محصورا، بالمدح والغزل والوصف والرثاء والفخر والهجاء، بل أخذ يتناول مفاهيم جديدة، وعبر عن فكر راقي ، ولقد تناول مواضيع تتعدى حدود الزمان والمكان وذلك واضح من خلال بحثنا هذا.

وأهم جديد توصلنا إليه من خلال عرضنا لمختلف التجديد الذي أتى به، هو إصراره على توفر الوحدة العضوية والموضوعية للقصيدة. ويظهر ذلك جليا من خلال قصائده الشعرية الكثيرة، وكذلك جدد في الطبيعة، إذ لم يصفها كأنها مظهر خارجي، وإنما كانت تمثل له همومه وأحزانه التي كان يعاني منها، وقد ظهر ذلك جليا من خلال القصيدة التي درسناها وهي "المساء"، وقد رأينا كيف أنه قد تأثر بالرومانسية الغربية، وكيف تأثر بشعرائها واستمد منها أفكارها وصاغها بطريقة مميزة، وذلك من خلال فكره المميز والمبتكر وتوصلنا إلى أن هذا الجديد الذي أتى به " خليل مطران " ، ربما يصبح قديما إذا بقي الصراع قائما بين القديم والجديد.

وسواءا وفق مطران في محاولاته التجديدية، أو لم يوفق إلا أنه استطاع أن ينشىء مدرسة جديدة، حقق من خلالها فرادته الشخصية، وبقيت عبر الأجيال، فهو نهاية الكلاسيكية المتجددة، وأول الشعراء الرومانسين. فقصائده مفعمة بالجمال وبكثير من العبرو الدروس سواءا للفرد أو المجتمع أو للحضارة العربية بصفة عامة، إلا أنه ما يلام على شعر مطران حسب العديد من النقاد أنه لو لم يقحم شعر المناسبات في قصائده، لكان شعره شاملا وكاملا.

ولعل آخر ما نختم به هو أن " خليل مطران "، بفضل عمق ثقافته الغربية، وبفضل ثقافته العلمية كان يطمح بضرورة التجديد في الشعر العربي.

قائمة المصادر

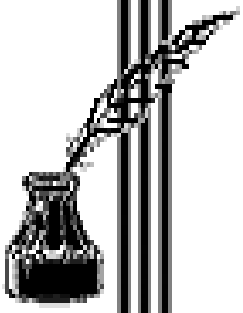

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- ابن منظور – لسان العرب بيروت – لبنان – مجلد 03 ، ط1 ، سنة 1992 .

2- أدونيس الثابت والمتحول – بحث في الإبداع والإتباع عند العرب – ج2 – ط8 دار السياق – بيروت – لبنان 2002 .

3- ديوان خليل مطران، ج 1، دار مارون عبود، د ط، بيروت، 1975.

4- كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، ج 2، دار الكتب الحديثة، لبنان، ط1، 2003.

5- المنجد في اللغة وأعلام – دار المشرق – طبعة جديدة منقحة ، بيروت

المراجع:

6- أنس نشاوي المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د ط ، 1984

7- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1 2003.

8- أبو السعود سلامة أبو السعود ، الإيقاع في الشعر العربي الحديث ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، د ط

9- أبو عوض أحمد الفاري عبد اللطيف ، الحركات الفكرية و الأدبية في العالم العربي الحديث د ط، د ت .

10- أحمد حسن الزيات – تاريخ الأدب العربي – دار المعرفة – بيروت– لبنان 2006 ط10

11- أحمد زلط ، الأدب العربي الحديث ، دار الوفاء الإسكندرية ، د ط .

12- أحمد عوين ، الطبيعة الرومانسية ، في الشعر العربي الحديث ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، ط 1 ، 2001 م .

13- جحا ميشال – خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث – بيروت – الطبعة الأولى 1981 .

14- جمال الدين الرمادي – خليل النبيل وشاعر الشرق – دار القومية للطباعة والنشر مصر د- ط .

15- حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث – دار الشروق ، القاهرة ، مصر، الطبعة الأولى 2007.

16- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، ط 2 ، 1987.

17- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، دار النهضة العربية، ط1 بيروت 2006.

18- س. موريه، الشعر العربي الحديث، 1800-1970، تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي دار الغربي اللطباعة والنشر والتوزيع، 2003.
19- سعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث ومقوماته الفنية وطاقتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، 2005.
20- سلمى الخضراء الجيوسي- الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث – بيروت لبنان ط1 2001 .
21- طه حسين – تقليد وتجديد – دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ط3 1984 .
22- طه وادي، جماليات القصيدة المعاصرة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط 1 2000.
23- عبد الرحمان تبرماسين ، العروض و إيقاع الشعر العربي ، دار الفجر للنشر ، 2003 د ط.
24- عبد العزيز عتيق ، علم العروض و القافية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت 2001 ، د ط .
25- عبد الله شرارة – خليل مطران – دار الصادرة – بيروت – لبنان – د .ط 1964
26- محمد بن عبد الحي ، التنظير النقدي و الممارسة الإبداعية ، دراسة لأعمال ستة نقاد الناشر منشأ المعارف بالإسكندرية ، جلال حزي و شركاه .
27- محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، بنياته و إبدالاته الرومنسية العربية ، ج 2 القاهرة، ط 2 ، 2001 .
28- محمد حسين الأعرجي، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار عصمي، د ط ، د ت.
29- محمد حسين علي – الأدب العربي الحديث – الرؤية والتشكيل، دار الوفاء، الإسكندرية د.ط.
30- محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم (الشعر، المسرح، القصة)، دار المعارف الجامعية الإسكندرية، 2000، 1واصف أبو الشباب، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، د ط، بيروت، 1988 .
31- محمد صبري، خليل أروع ما كتب، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، 1960
32- محمد عابد الجابري – التراث والحداثة – دراسات ومناقشات – دراسات الوحدة العربية – بيروت لبنان ط2 – 1999.
33- محمد عبد المنعم خفاجي ،مدارس الشعر العربي الحديث – دار الوفاء – دنيا للطباعة والنشر- الإسكندرية ط1 ، سنة 2004 .

34- محمد عطا ، خليل مطران – دار المعارف – مصر ، القاهرة ، سنة 1959 د- ط .
35- محمد مصطفى أبو الشوارب إيقاع الشعر العربي تطوره وتجديده – جامعة الإسكندرية الطبعة الأولى 2005 .
36- واصف أبو الشباب، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، د ط، بيروت ، 1988.

فهرس الموضوعات

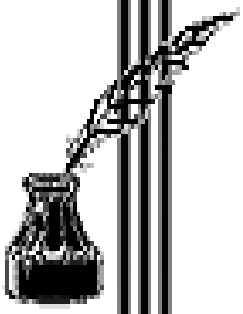

فهرس الموضوعات:

مقدمة

تمهيد..... 4

الفصل الأول : لمحة عن خليل مطران

- هويته وثقافته..... 9
- ملامح الرومانسية في شعره..... 12
- أهم أغراضه الشعرية..... 16

الفصل الثاني: مظاهر التجديد عند خليل مطران

- تعريف التجديد 23

1- لغة 23

2- اصطلاحا..... 23

- عوامل التجديد..... 25
- مظاهر التجديد 25

1- المضمون 26

2- الإيقاع 29

الفصل الثالث: التجديد من خلال قصيدة المساء.

- التجديد على مستوى المضمون..... 38
- التجديد على مستوى الصورة الشعرية..... 42
- التجديد على مستوى الإيقاع..... 48

خاتمة 53

قائمة المصادر والمراجع..... 56